الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
قسم: اللغة والأدب العربي
كلية الأدب واللغات

بحث بعنوان:

البعد الوطني والاجتماعي في ديوان ألوان من الواحات خالد شامخة أنموذجا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة العربية وأدبها

أدب حديث ومعاصر

من إعداد الطالبين:

✓ حنان رسيوي
✓ حفيظة رزمة

تحت إشراف الدكتور:

– د.سرقمة عاشور

1439/1438هـ/2018/2017م

اهداء

الى قدوتي و نبراسي الذي أنار دربي ، الى من علمني أن أصمد أمام أمواج البحر الثائرة

أبي ... الى روحك الزكية الطاهرة أهدي حلم حياتك وهاهو قد تحقق الحلم فأهدي لك هذا العمل بكل تجلياته أبي الغالي سليمان رزمة

الى أمي الغالية ألم يقل الشاعر و أرض الطهارة صفو الأم يحضرها وطاب المقام فأين الأم أيناها نعم الأمومة حلق زانه أدب تحيا الرجال

أسوتا في ثناياها ..إليك أمي الغالية فضيلة أهدي هذا العمل

اليك أخي رضوان الى أعمامي الذين قدموا لي يد العون و المساعدة وكانوا لي السند : عمي عبد القادر و عبد الرحمان ولخضر..أطال الله في عمرهم

إلى خالي محمد بارود جعله الله تاجا فوق رؤوسنا إلى أخي إلياس الذي لم يبخل بدعمه لي و إلى عمتي فاطنة حفظها الله وياسين ويوسف

و إلى إخوتي منبع المحبة والحنان والوفاء و أغلى ما أملك : أحمد و محمد وهشام حفظهم الله ورعاهم إلى عمتي زينب و أولادها

و إلى إخواني الذين لم تلدهم أمي : سمية وسهيلة وسعاد وعبد النور وبولنوار وعائشة ووسيلة وحنان

الى جدي عمر وزيغم إلى جدتي عائشة وفاطمة رحمهما الله

إلى كل أصدقائي و بالأخص : بن دكن عبد اللطيف و العربي بشير

الى صديقاتي : حميدة ، حنان، سميرة ، لطيفة ، مروة

اللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم واجعل فيه الخير والبركة والثواب لقارئه وناشره وكاتبه

شكر وعرفان

ربي أوزعني أن أشكر نعمتك علي بإتمام هذا البحث، وعلى ماامننت به على من توفيق وسداد، وعلى مامنحتني من قدرة على تخطي الصعاب وتذليل العقبات

أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساهم معنا في انجاز العمل المتواضع وعلى رأس هؤلاء البروفيسور سرقمة عاشور الذي كان لنا الشرف الكبير بإشرافه على هذا العمل ومتابعته بمراحله والشاعر خالد شامخة بالأفكار والتوجيهات النافعة و الأستاذ شنيني عمر بإفاداته و ملاحظاته التي أخذناها بعين الاعتبار وكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد فلكل هؤلاء الشكر الجزيل و أرجو الله أن يثيبهم خير عنا خير الثواب فهو الهادي الى سواء السبيل وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله و أصحابه أجمعين .

الإهداء

يامن خلقتني فأحسنت وعلمتني فنفعت إليك اهدي شيئا من جزيل عطائك فأجعله لقلبي ضياء..

ولبصري جلاء ..ولأسقامي دواء ...وأكتبه في ميزان حسناتي وارحم به أهلي أينما حلوا وحيثما إرتحلوا احفظ والدي الكريمين.

إلى من جعلت الجنة تحت قدميها والصبر على كفيها وأنجبت وربت وفي خفاء دعت وبكت أمي الغالية، إلى الشمع الذي ذاب من أجل أن يضيئ لي درب الحياة والعيون التي سهرت من أجل أيشرق لي شمس الأمنيات إلى من تجرع المر كي أذوق العسل، والدي العزيز.

وجدتي وأخوالي

إلى إخواتي : من بينهم أخي فيصل رحمك الله بقدر ما أوجعني رحيلك وعدد ماهزني الحنين إليك إلى جنات الخلد واسأل الله أن يسكنه فسيح جنانه

هزار وأبنائها زوجها

نجاة وإبنها وزوجها

هاجر

محمد وعبد الرؤوف

الأعزاء وجميع الأهل والأقارب

إلى جميع أصدقاء الدراسة وليد رباحي ،وبن حمادي بوجمعة،ريم علماوي،سميرةيحي،وحنان المقبض وخاصة رفيقة دربي أمال بلغواطي وعائلتها الكريمة ، وطلبة الدفعة

إلى من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي أهدي لهم ثمرة جهدي

حـــنـــــــــان

توطئة :

إن الثقافة الشعبية تعتبر من الميكانيزمات المحركة لحياة الشعوب على ممر الأزمان وهي التي تساير كل ما يدور في القرى والمداشر بما فيها من عادات وتقاليد.

فنجد أن الشعر والحكاية أو(المحاجية) والألغاز الشعبية لها مكانة في مجتمعنا بما تحمله من حكم وعبر و تسلية من نوع خاص وترفيه للذاكرة وتعتبر الأمثلة الشعبية متنفس لأفراد ذلك المجتمع يسمر بها ويسهر،حيث تستمد أفكارها من واقع نمط معيشته و بيئته .

وللشعر الشعبي مكانة خاصة في المجتمع الجزائري إذ يعتبر مقوما أصيلا من مقومات الهوية الثقافية في كل أمة ومجتمع ، وذلك بارتباطه بالبيئات المحلية عبر امتداداتها ثقافيا، ويختزنه الشعر الشعبي من قيم ودلالات تعكس معاني التنوع والثراء، فنجد عدة قصائد وأشعار وشعراء يتسابقون في الزمان و المكان فيكتبون على ما يجول في خواطرهم من قصص شعبية عند مواكبة أفراحهم و أقراحهم لذا يعتبر الشعر الشعبي وسيلة هامة في كتابة وتاريخ هذا الموروث الحضاري الذي يعتبر تراثا شفهيا ماديا تنقله الكتابة والتسجيل، ثم يتم جمعه فيسمى مخطوطا .

ويعتبر الشعر الشعبي أيقونة لما يحدث في بيئة الشاعر فيتكلم به مخاطبا أهل البادية بما تجود قريحته ويختزل معاناته، وحتى مايدور في حياته اليومية ثم تتصور له مشاهد ينمقها بالصور الشعرية .

كما أن للشعر الشعبي ميزة خاصة تميزه على الشعر الفصيح أنه لا يتقيد بقواعد الاعراب ونجد له عدة خلاصات نجمعها في قرائاتنا وبحثنا وقد نجد عدة نماذج وقد نجد منه عدة نماذج لا نجدها في الأدب الفصيح.

فالشعر الشعبي يتقمص عدة ألوان شعرية من فخر ووصف ورثاء وهجاء فيلخص من بيئة الشاعر زبدة اسمها القصيدة الشعبية المتينة التي تقف على أركان رئيسية تتأسس عليها القصيدة ومن جانبها البناء الفني الذي هو بمثابة الصورة المعبرة للقصيدة، إذ هو من القضايا الأساسية التي شغلت بال النقاد وتناولها الدارسون لأنها من أهم مقومات الشعر بما يتضمنه من علاقة للمعنى بالإيقاع و تآلفها في عملية البوح الإبداعي، وهي كذلك تبرز جماليات هذا الفن من خلال أسرارها في الوزن والقافية والتنغيم كعناصر تتجانس مع غيرها لتشكيل هذا البناء الذي يتميز به الشعراء عن النثر إذا كان المعنى عاملا مشتركا بينهما ولا شك أن القصيدة الشعبية على غرار الشعر الفصيح تستند على هذا البناء الفني لأنه جوهر الحركة الابداعية فمن هنا نقول أن القصيدة الشعبية هي الصورة المعبرة عن جودة ومكانة الأدب الشفهي الجزائري في كل المجالات.

وهنا نثمن جهود الكُتَاب والشعراء الذين يسيحون في مجال الأدب الشعبي ويبرزون ثقافته في طريق الاندثار، فمهما كُتِب وسُجِّل فيه وعنه فإن الأدب الشعبي يُعتبر بحراً عميق المدى ونجد في دواخله مكنونات ثلاثية شفهية مستمدة من تقاليد البادية الجزائرية.

وعند تناولنا لجزء ضئيل من تراثنا الشعبي فإن هذا لن يبلغ ما تدخره خزائن التراث الشفهي لمنطقتنا بل بإنه يكشف عن جوانب كثيرة للأدب الشعبي الجزائري بصفة أو بأخرى .

لذا نقول أن الشعر الشعبي الجزائري غني بالقيم الوطنية و الاجتماعية ويربط الماضي بالحاضر ثم المستقبل.

والشاعر الشعبي خالد شامخة الذي داع صيته في الصحراء ، ولاسيما بلدته متليلي الشعانبة مسقط رأسه كأحد أقطاب الشعر الشعبي مارس هذا الإبداع على امتداد تجربته الثرية التي تميز فيها بعمق معانيه وسلاسة ألفاظه ورشاقة إيقاعاته وطول نفسه الشعري، وساهم بقصائده الشعبية في تسجيل أحداث منطقته ووطنه ، و قاسمها الأفراح و الأتراح، وناصر قضاياهما بشعره داعيا إلى الوحدة والتضامن متجاوبا مع الأحداث التي خلدها في قصائده والتي كانت متنفسا لأبناء مجتمعه بطبيعتها البسيطة الصادقة، وعلى سبيل المثال لا الحصر فعند سماعك ما يتضمنه أسد شعراء الشعانبة خالد شامخة يتبين لك من الوهلة الأولى كيف كان محبا لوطنه و أبناء بلده وذلك ليس غريبا على الشعانبة الذي ينتمي إليهم شاعرنا حيث كان لهم الدور الكبير في حل الثورات الشعبية بالجزائر في الثورة التحريرية المظفرة للفاتح من نوفمبر

ليس الأمر بالغريب خاصة لما نقرأ أو نسمع لديوان أسد الشعراء، والذي هو موضوع بحثنا، فلننظر فيه كيف يمجد أبطال الثورة الشعبية وكيف يعتّز، بمورثه الشعبي من عادات وتقاليد منطقته.

كما لم يبخل شاعرنا ويتقوقع على نفسه مُقَيَدًا بحدود منطقته ، بل شارك بموهبته في تخليد أحداث عصره .

الاشكاليات التي نطرحها :

وإذا ما أردنا أن نصيغ جمله من التساؤلات حول تداعيات عنوان بحثنا فإننا نتسائل عن :

مدى حضور البعد الوطني و الاجتماعي في الشعر الشعبي ؟ وكيف أثر في بناء القصيدة الشعبية ؟

وماهي الأبعاد الدلالية للجوانب الفنية والجمالية التي اكتبستها قصائده من هذا التوظيف ؟

أسباب اختيار الموضوع:

إن اختيارنا لهذا الموضوع لم يكن وليد الصدفة ولقد انبنى على قسمين :

1. دافع ذاتي : وهو إعتزازنا بموروثنا الشعبي وافتخرنا بشهدائنا والبطولات التي قاموا بها عموما ومنطقتنا خصوصاً.

2. دافع موضوعي : هو المتعة وجمالية التي أظافها موروثنا في الشعر الشعبي ودور شهداء منطقتنا في الثورة بتمجيد الأبطال وإحياء الروح الوطنية ورسخها وتخليدها في ذاكرة الأجيال

المنهج البحث وأدواته:

أما من ناحية اختيارنا للمنهج ،فقد اعتمدنا على منهج الوصفي الذي يصطحبه المنهج التاريخي ، فالوصفي في بحثنا هذا يقوم على توصيف الموروث الشعبي الخاص بمنطقة الشاعر ،أما التاريخي فلأن موضوعه يتضمن طابع التاريخيةفي تمجيد البطولات والشخصيات وشهداءنا الأبرار.

صعوبات البحث :

وبما أن البحوث مهمة صعبة تعترضها صعوبات في أنجازها فإن بحثنا هذا ليس بمنأى عن تلك الصعوبات من قلة المصادر والمراجع عامة.

خطة البحث:

إن بحثنا هذا يتأسس في مخططه على فصليين إثنين الفصل الأول منه يتناول الجانب النظري ويتضمن مبحثين، أما الفصل الثاني يتناول الجانب التطبيقي يتضمن أربعة مباحث تتلوها الخاتمة .

فإن وفقنا في بحثنا هذا فمن الله وإن أخطئنا فمن النفس والشيطان وقلة المجهود والله المستعان.

المبحث الأول : الأدب الشعبي خصائصه ومظاهره

المطلب الأول : مفهوم الأدب الشعبي

«ليس غريبا أن يكون للغة العامية أدب شعبي يعبر عن حاجات وعواطف الطبقة الشعبية المحرومة ، كما للغة المعربة أدب رسمي ، وانما الغريب أن تبقى هذه الحقيقة حقبة طويلة في تاريخ الثقافة والفكر بعيدة عن ميدان الدراسة ، والبحث والاعتراف بها من قبل المؤسسات العلمية الا ماقل ونذر»[1].

ويعرفه محمد المرزوقي في كتابه الأدب الشعبي قائلا : «إن الأدب الشعبي هو ذلك الأدب الذي استعار له الشرقيون من الأدبي كلمة فلكلور على خلاف صحة إطلاق هذه الكلمة على ما نسميه بالأدب الشعبي بالضبط »[2] ، تعد دراسة الفلكلور عديدة أهمها العادات والتقاليد والمعارف والفنون الشعبية فضلا عن الثقافة المادية و الأدب الشعبي الذي يقع في مكان قلب هذه الدراسة .

فالأدب الشعبي ليس واحدا من أبرز موضوعات الفلكلور ، و أكثرها عراقة وحسب ، ليس أكثر حظا في استقطابه للبحوث والدراسات من غيره من الميادين فقط ، بل إن علم الفلكلور كان في مرحلة من مراحل تطوره يقوم أولا و أخيرا على الدراسة الأدب الشعبي كذلك ، وكثيرا ما يستخدم مصطلح فلكلور للإشارة اليه ، ويستعمل مرادفا له ، ذلك أن كلمة " lore " تعني المعرفة والمعتقدات والتقليدية و الأدب الشعبي بهذا المعنى هو معرفة والمعتقدات التقليدية للحضارات التي ليس لها لغة مدونة ، والتي تتناقل من جيل إلى جيل بطريقة شفوية .

يقول الباحث عبد الحميد محمد في كتابه روح الأدب : « الأدب الشعبي رباط وثيق بكل أمة يولد معها ويترعرع بجوارها ويتربى في ثربتها ويرضع من ثدييها ويجتر كل الحياة حلوها ومرها بلا تباطؤ ، فإذا هو بعد ذلك أدب شعبي يصف بهذه الأمة ، مكين في روحياناتها متشبث في قاعدتها ، فيصير ترجمة لها وعنوانا»[3]

«الأدب الشعبي أقدم من أخيه التقليدي الذي صار يعرف ، بالفصيح ، وغدا الشعبي بفعل التقصير في التعلم والطبقية المستجدة ، وساكني المدن والخضوع لقوانينها ، والتحضر الذي طرأ على البيئة العربية فمن هنا نقول أن الدور " الأدب الشعبي لا يتمثل في التعبير عن العواطف ، و الأحاسيس الطبقات الشعبية المحرومة ، وتصوير حياتها الاجتماعية و السياسية بطريقة نلمس فيها الصدق ، الدقة أحيانا ، و

[1] د.التلي بن الشيخ ،دور الشعر الشعبي ،الجزائري في الثورة1830-1945، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،(د ط) 1983م،ص61

[2] بولرباح عثماني،دراسات نقدية في الأدب الشعبي، لاتحاد الكتاب الجزائرين ،ط1، 2009،ص 18

[3] بولرباح عثماني، درسات نقدية في الأدب الشعبي، م س، ص18

إنما يتجلى في الحفاظ على اللغة والثقافة العربية ، وإيصالها إلى الجماهير التي حرمت من التعليم المنظم وانفصلت عن وسائل المعرفة الإنسانية ، ومن هنا فإن الأدب الشعبي يكون(مؤسسة) ثقافية متجولة بين أبناء الوطن العربي ، تجاوزت الحدود السياسية و الإقليمية وكان أقدر على الإيصال والتبليغ حتى من الأدب الرسمي ، ذلك أن سيرة عنترة بن شداد أو جازية مثلا لا يكاد فرد عادي من أبناء الوطن العربي لا يعرفها بوجه من وجوه المعرفة فهي تروي في مصر والعراق والجزائر ، وغيرها ، بينما نجد المتنبي ، وهو من أشهر الشعراء العرب محصورا في عدد معين من الدارسين ، والمتعلمين ، وقد استطاع الأديب الشعبي أن يخلد المآثر الفكر العربي و الإسلامي بالرغم من عدم وجود وسائل الطباعة والنشر واعتماده على الرواية الشفهية . وقلة اهتمام الأدباء والعلماء بتذوق الأدب الشعبي وتدوينه ...»[1]

مفهوم الشعر الشعبي

فالشعر الشعبي يتكون من شقين أو كلمتين هما :

الشعر :فالشعر هو أقدم الفنون الأدبية يعني في الأصل "علم شعرت به بمعنى علمت به ومن ثم يكون الشاعر بماثبة العالم"[2]

الشعبي:الكلمة الثانية جاءت لتخصص الكلمة الأولة وتحصرها في نطاق الشعب وهي صفة مشتقة من الإسم الموصوف (الشعب)، وتحيل إلى مفهومين مختلفين ،

أ- مجموعة الناس يتشتركون في علامة مماثلة ، الدين ،الدولة ،الأصل ، الأرض

فريق من الأمة المعبرة عن النقيض من الطبقات الأخرى ، بتوافر الزيادة في أحد الشقين ،الثروة أو المعرفة

أن الشعر الشعبي قد نشأ في ظروف اجتماعية .وسياسية متباينة طبعت موقف الشاعر .ونظراته الى قضايا الحياة بواقع البيئة المحلية التي يعيش فيها الشاعر.وفرضت عليه سياجا من العزلة الثقافية والحضارية جعلته يستخدم ألفاظ بحدود البيئة الاجتماعية

في تصورنا أن اختلاف الدارسين يمكن ارجاعه الى عدم تحديد مفهوم الشعبية في الأدب . ذلك أن تحديد صفة الشعبية لايزال في حاجة الى تحديد أكثر دقة مما هو شائع في هذا المجال . وبالرغم من أن الباحثين في الأدب الشعبي يستخدمون تعبير الطبقات الشعبية . مثلما يطلقون تسمية الأدب الشعبي

[1] د.التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830-1945،م س،ص66

[2] ابن منظور ،لسان العرب دار صادر ،بيروت ،ط6،1997،مش ،ص 409

على الابداعات الشعبية كمسلمات . أو بديهيات فإنهم لا يشفقون عند الحديث عن الشعر الشعبي . فهناك من يذهب الى حصر الشعر الشعبي في النوع الذي جهل قائله . بينما يرى آخرون قصره في العراقة . والقدم .وإخراج الشعر الذي عرف قائله من حظيرة الشعر الشعبي . كما أن كلمة ملحون قد أطلقها البعض على دون النثر مع أن اللحن من خصائص الأدب الشعبي : شعرا ونثرا بالاضافة الى أن اللحن يشمل كل أنواع التعبير الشعبي . والمتتبع لنماذج الشعر الشعبي الجزائري يجد الشاعر قد استخدم أسماء مختلفة لم يرد من بينها إطلاق الملحون أو العامي

يختص الشعر الشعبي بمقومات وخصائص فنية مكنته من الامتداد والانتشار الاستحواذ على قلوب الجماهير الواسعة من المتلقين له . فهو يقوم عل أسس لغوية وفنية جعلته شكلا تعبيريا قائما بذاته . وبعضها هي خصائص فنية تشترك فيها كل أشكال
التعابير الشعبية . والشعر الشعبي كنز من الحكمة والكلمة المعبرة والقول المستساغ . " إن البحث مكنني من فتح عيني على كنوز عظيمة متمثلة في القصائد الشعرية الشعبية الألمانية " [1]

ومن خلال بحثنا في هذا الموضوع استخرجنا بعض الخصائص الفنية التي تميز الشعر الشعبي ويمكن تلخيصها فيما يلي :

الإبداع الشعبي التقليدي : يعبر الشعر الشعبي عن ثقافة الشعب و آماله وهو نابع من الشعب . الشاعر يبدع انطلاقا من بيئته الشعبية . فهو تجسيد يمثل ثقافات مجموعات من السكان تتفاوت من حيث الأهمية وتذوب فيها الفرديات

أما التقليد فهو يمكن في شفوية هذه القصائد أو النصوص الشعرية وطابعها الخاص الطي ألفه المتلقي . فالشاعر الشعبي يجد نفسه مقيدا ملتزما بالطابع القديم للنصوص . كما أن الذاكرة الشعبية تقحم نفسها في ابداعاته من خلال تداخل النصوص الشعرية والاقتباسات التي يلجأ إليها الشاعر دون قصد . وهذا مايعرفبالتناص عند اللغويين ، اذا أكدت جوليا كرستيفا ذلك « أن صلة النص الجديد بالنص القديم . تتسم بالتكرار والتوزيع أي صلة هدم وبناء ، وهي ايضا صلة تبدل وتغير في النصوص ، أي تناص ، ففي حيز نص محدد ثمة ملفوظات مأخودة من نصوص أخرى . تتداخل وتتشابك»[2]

[1] رلان بارت ، درس السيميولوجيات :بن عبيد ، دار توبقال ،دار البيضاء ،ط2 ،1986،ص89
[2] رولان بارت ،دري يسمسولوجيات :بن عبيد ،دار توبقال ،الداربيضاء ،ط2،1986، ص66

الثراثية في الموضوع :

موضوع الشعر الشعبي هو موضوع عام وموضوع خاص ،فالأول يمس كل فرد من أفراد الأمة والثاني اذ يحس كل فرد بأنه موضوعه الشخصي الذي يهمه وحده وهذا الموضوع له اتصال مباشر مع الشعب ، وتناول هذه الموضوعات يمتاز بعفوية والتلقائية ويقصد بها الفطرية في لا منطقية السرد والربط بين الأحداث ، كما يمتاز بالانتشار و التداول لأنه أدب كل طبقات المجتمع عكس الشعر الفصيح الذي يخص الطبقة المتعلمة المثقفة ، والشعر الشعبي متجدد حيوي ، يساير الأجيال المتعاقبة وتطوراتها الفكرية والحياتية . ومن هنا كانت الشعبية هي الثراتية التداول ، أي انتشار والخلود الانتشار على مستوى الأمة ، والخلود بالنسبة للزمن من عصر إلى عصر.

اللغة والأسلوب :

اللغة هي اسم مأخوذ من "لغو" وجمعها "لغي" و"لغوت" بمعنى هي الكلام المصطلح عليه بين كل قوم . وهي الأصوات التي تعبر بها الأقوام ، ويقال لغوت بمعنى تكلمت ، ولغة الشعر الشعبي هي لغة عامية (شعبية) لها أصول من الفصحى ، وبعضها كلمات أجنبية دخيلة ناتجة عن الاستعمار والغزو الثقافي و احيانا تختلف الألفاظ الشعبية عن الفصحى إلا في المنطق فقط ، يرى محمود ذهبي ذلك في قوله «الأدب الشعبي يمتاز بلغة معينة من الصعب وصفها ، ولكنها علو وجه القطع ليست عامية ، على أساس الترجيح فصحى راعت السهولة في إنشائها»[1]كما يغلب الطابع الديني و أساليب القرآن الكريم على لغة الشعر الشعبي وخاصة الملحون الجزائري ، وذلك يرجع الى ارتباط السكان بالعقيدة الاسلامية جعلتهم يتعلقون بلغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ويعظمونها ، وحيث طبعوا كثيرا من الألفاظ بأسلوبهم العامي الخاص

فهي ألفاظها متداولة بشكل يومي وشعبية بسيطة ، تجمع بين اللفظ العامي والفصيح و الأجنبي ، ومنها يتولد الرمز والصورة والفنية والأسلوب اذ هي مجموعة من الألفاظ لها خصائص متغيرة في المعنى حسب مصدرها وقوة معانيها ، ولغة الشعر الشعبي يوظف مفردات الجماعة التي تتحكم بها يوميا فتأتي

[1]العربي دحو ،الشعر الشعبي والثورة التحريرية ،بدائرة مروانة ،1955 -1962 م س د،ص11

أشعاره أقرب الى ما في أذهانهم من المفاهيم التي أنتجتها عفويتهم وبساطتهم في العيش وهي مفردات حية متطورة

أ-**الألفاظ** :

ألفظ الشعر الشعبي هي انعكاس صادق وواضح للبيئة التي ينتمي إليها الشاعر بكل مكوناتها وأنواعها . فالشاعر البدوي يوظف الخيمة والرمل والفرس ، والحضري يوظف البحر والطبيعة في أشعاره . كما هي ألفاظ ذات إيحاء وجداني أكثر من مدلولها الفكري والحسي المجدرين . وهي نظام من التعليمات والإشارات لها دلالات مختلفة وهي ألفاظ تتسم بالجزالة وكثرة الغريب ، اذ يعني بالصناعة اللفظية ، بحيث تتعدد المعاني من الكلمة الواحدة وهذا ما يعمده الشاعر الشعبي يؤثر في المتلقي من خلال اللغة المستعملة

ب-**الأسلوب**:

أسلوب الشعر الشعبي بسيط إذ هو أسلوب الكلام الجاري في حديث الناس . وهو أسلوب حواري يتعدى فيه الشاعر ويتجاوز ضمير المتكلم إلى التعبير بضمائر أخرى هنا يستفيد الشعر الشعبي من القصة التفصيلات المثيرة الحية

نشأة القصيدة الشعبية:

اختلف الباحثون حول نشأة القصيدة الشعبية في المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا ، فهناك ثلاثة أصناف من الرأي:

1. يرى أصحاب الرأي الأول أن القصيدة الشعبية وجدت قبل الفتح الإسلامي ،معتبرين أصولها من الشعر الأروبي والبربري القديم ومن بين هؤلاء الباحثين نجد جوزيف ديسبارمي،الذي يرى بأن :«الشعر المغربي بصفة عامة والشعر الجزائري على وجه الخصوص إنما يستمد أصوله البعيدة من أشعار بربرية ،وقبل إحتلال الرومان الجزائر»[1]،وهو الرأي الذي يسانده كذلك ألبيرت قيمي الذي قال:"إن الشعر كان موجوداً دائما في الجزائر»[2]ولكن ماقد يعاب على رأي هؤلاء وأنهم

[1]انظر:العربي دحو ،شعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس ، الجزء1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989 م،ص:32 -33

[2] انظر: المرجع نفسه ،ص33

انطلقوا من فرضيات مجردة ، لم يثبتوها بنصوص الشعرية الكافية «لأنهم أعطونا نصوصا بلهجة بربرية فعلا، ولكن مضمون هذه النصوص كان إسلامي»[1] ما يعني أنها

ظهرت بعد الفتح الإسلامي وليس بعده،ويرجع بعض الباحثين أول ظهور لشعر العامي في الجزائر إلى عصور قديمة ،إلى أن تصل إلى العصر الجاهلي ممثلة في تلك «الأراجيز المنظومة بلهجات غير فصيحة في العصر الجاهلي»[2]

2. يرى الفريق الثاني وعلى رأسهم عبد الله ركيبي «مع الفتح الإسلامي ثم انتشر بصورة قوية واضحة بعد مجيء الهلالين»[3]ولكنه اندثر بعد الفتح الإسلامي يتنافى مع معتقد الجديد ، الذي يحمل ثقافة جديدة ، والمجتمع الجديد الذي ينشده الإسلام
3. أما أصحاب الرأي الثالث فهم يذهبون إلى «أن الشعر الشعبي ظهر في الجزائر مع الزحفة الهلالية على الجزائر ، وتعريبهم للمنطقة المغاربية ومن هذه الآراء نرى أن الرأي الغالب هو أن القصيدة الشعبية هي واحدة من إنتاج أو ثمرة الحملة الهلالية على الجزائر التي أدت خدمة جليلة للعربية ولسكان شمال إفريقيا الذين عربتهم بسهولة »[4]

[1] محمد دبوز ،تاريخ الأدب الكبير، مطبعة عيسى البابلي وشركائه، ط1،1994،ص:49-61
[2] محمد مرزوقي ،الشعر الشعبي ،الدار تونسية للنشر ،تونس ،1967م ،ص52
[3] عبد الله ركيبي ،الشعر الديني الجزائري الحديث (شعر الديني الصوفي)،ج1،دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2009 ،ص366
[4]العربي دحو ،الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس ،الجزء1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1989م،ص:32

المطلب الثاني:خصائص الأدب الشعبي :

ربما كان من أهم خصائص الأدب الشعبي أنه أدب شفوي، فهو معني بالحديث والغناء والسماع، ويعتمد على ثقافة حية تعنى به وتقوم بحمله ونقله من جيل إلى جيل، وعندما يضيع من الذاكرة يفقد تماماً، على نقيض الأدب المدون الذي يسهل حفظه ونقله وتذوق كل جوانبه فيما بعد على اختلاف العصور والأمكنة.

والمتحدث أو المغني أو الراوي شخص يحمل تراثاً تعلّمه من آخرين، وينقله إلى جمهور حي ربما سمعه من غيره أكثر من مرة، ولذلك فإنه مقيد بهذا الجمهور، وملتزم توقعاته إلى حد بعيد، وهو لذلك يكرر مادته ما دامت تروق الجمهور على الرغم من اختلاف الزمان والمكان. ومع أن أي شخص يمكن أن يقوم بهذا الدور، فإن بعض المجتمعات تسنده إلى فئة خاصة منها تنقله بمهارة عالية وتُجزى على نقلها هذا بصور شتى. لربما يفخر بعض أفراد هذه الفئة من النَقَلة أو رواة الأدب الشعبي بدقتهم الشديدة في النقل، ولربما يملك بعضهم ذاكرة قوية حقاً، كما أن هناك من يتعامل مع مادته تعامل المحترف، ولكن تقليد« الأدب الشعبي يبقى تقليداً يعتمد على الذاكرة، وهذه نقطة ضعف بيّنة فيه بسبب النسيان أو الإضافات أو الاستدلالات المقصودة وغير المقصودة التي يتعرض لها، مما يجعل مادته دائماً في طور التشكل الذي لا يكاد ينتهي، فهي لا تستقر على شكل محدد، ولاسيما أن الرواة أنفسهم ربما يفكرون في إدخال ما يعتقدون أنه تحسينات على المادة المنقولة. وما دامت هذه التحسينات تظفر باستحسان المتلقي فليس ثمة ما يمنع من قبولها وانتشارها ومن ثمَّ نقلها إلى الأجيال الأخرى في أشكالها المعدَّلة. ولكن المرء من ناحية أخرى ينبغي أن يشير إلى أن بعض المغنين، أو الشعراء الجوالين، قد يطورون تقنيات خاصة في أدائهم لمادتهم الملحمية أو حكاياتهم البطولية، وربما يصاحبها عزف خاص على آلات معينة، مما يساعد على خلق أشكال فنية تُقَدِّم حوافز فعالةً على حفظها ونقلها من جيل إلى آخر بأمانة ودقة تسموان نحو الكمال باستمرار. وثمة كذلك تقاليد شفوية تؤدى على نحو شعائري بدقة فائقة يحرص عليها الراوي أو الناقل والمتلقي لاعتقادهما بأن تأثيرها منوط بهذه الدقة، وإيمانهما بها إيماناً غيبياً»[1].

ولكن شفوية الأدب الشعبي التي تميزه من الأدب المدون لا تعني انقطاعه التام عن غيره من النشاطات الإنسانية الأخرى بما فيها الأدب المدون نفسه الذي يشترك معه في كثير من الأجناس والتقنيات والأشكال الإنشائية فضلاً عن الموضوعات. ومع ذلك فإن صلته الأقوى هي صلته بالتراث

[1] الانترنت ،الموسوعة العربية ،14/05/2018، 18:30

الشعبي، فهو جزء لا يتجزأ من هذا التراث الذي يشمل فيما يشمله العادات والمعتقدات ومظاهر السلوك الشعائري، وأنواع الرقص والموسيقى الشعبية، ومظاهر أخرى من الثقافة الشفوية. وهذه جميعاً تدرس ضمن حقل معرفي محدد بات يشار إليه اليوم بالإثنولوجية ethnology (علم دراسة الإنسان بوصفه كائناً ثقافياً، أو الدراسة المقارنة للثقافة، أو ذلك القسم من الأنثربولوجية المختص بتحليل المادة الثقافية وتفسيرها تفسيراً منهجياً) ولكنها تظل من شأن دارس التراث الشعبي أو المتخصص بالفولكلور folklorist.

وفضلاً عن صلة الأدب الشعبي بالتراث الشعبي هناك علاقته بالأساطير، وهو أمر تؤكده دلائل وفيرة في مختلف الثقافات القديمة كاليونانية والهندية، وثقافة وادي الرافدين ووادي النيل، والثقافة الهندية الأمريكية، والايرلندية. وأكثر من هذا فإن الأساطير غالباً ما ينظر إليها على أنها جزء من الأدب الشعبي. ولاشك أن نَقَلَة هذا الأدب يمارسون تأثيراً مهماً في التحولات التي تطرأ عليها من خلال عملية النقل والرواية ذاتها.

أصول الأدب الشعبي وتطوره :

أصول الأدب الشعبي يكون من الصعب الحديث عنه وعن تطوره ،« لأن كل بشرية ، سواء أكانت كبيرة أو صغيرة ، تناولت أدبها الشعبي بطريقتها الخاصة ، و الأدب الشعبي يمثل تاريخا من التغيير الدائم لأنه يقوم على الرواية الشفوية ،وبالتالي فإن درجة براعة الراوي ، فضلا على المؤثرات المادية والاجتماعية تمارس دورا مهما في تطور هذا التقليد الشفوي ، وهناك بعد ذلك المتلقي لهذا التقليد الشفوي الذي تكون له عادة اهتماماته وحاجاته وظروفه التي تحفز بوجه أو بآخر عملية إنتاج الأدب في أي مجتمع من المجتمعات

و إضافة إلى تأثير الراوي والمتلقي والظروف الاجتماعية والمادية في الأدب الشعبي ، هناك تفاعل مستمر بين الأدبين الشفوي والمدون ، فمؤلفوا الأدب المدون غالبا ما كانوا يستعيرون منذ العصور الكلاسيكية حكايات وموتيفات وموضوعات و التقنيات من الأدب الشعبي الذي تنامى تأثيره في الأدب المدون بدءا من عصر النهضة»[1] .

[1]-عبد النبي صطيف،مداخلة في الأدب الشعبي، موقع الانترنت ،موسوعة العربية،14/05/2018، 19:20

دراسة الأدب الشعبي ، جمعه وحفظه :

يعد الأدب الشعبي أدبا شفوي ، وهو لذلك عرضة لعوامل التغيير المختلفة ، البشرية والطبيعية والمادية ، ولأنه يُختزل في الذاكرة فهو مهدد بالضياع دوما ، ومادة مثل مادته التي تظل في حالة تغيير مستمر لا يمكن أن تُدرس من دون أن يحيط بها سجل مدون يكون ملذا للدارسين في تفحصها وتحليلها ومناقشتها والوصول الى النتائج متماسكة حول طبيعتها ووظيفتها وتطورها وصلتها بغيرها من ألوان الانتاج الثقافي الانساني .

والواقع أنه على الرغم من قدم الأدب الشعبي ، فإنه لم يبدى بجمعه وتدوينه الا منذ ما يقرب ثلاثة قرون، وقد تطور هذا الجمع شكلا ومضمونا ليبلغ ذروته التي ظفر فيها كل ما اتسم بصفة الشعبي بإهتمام كبير سواء أكان موسيقى أم أدبا أم فنا غير ذلك .

كما استطاعت التقنيات الحديثة المطورة في العقود الأخيرة من القرن العشرين أن تقدم خدمات جلة في المجالات جمعه وتدوينه وتسجيله وتصنيفه وتحليله وتطبيق أحداث المناهج المتداخلة في دراسته .

المبحث الثاني : الأدب الشعبي الجزائري

المطلب الأول : مكانة الأدب الشعبي في الجزائر

«إن الأدب الشعبي الجزائري بقي معزولا عن الحياة الفكرية الجزائرية ، وقد أهمله الدارسون الجزائريون لأسباب متعددة ، ترتبط في مجموعها بوضع الثقافة العربية في عهد الاحتلال الفرنسي ، فقد كان المثقف الجزائري معبر باللغة العربية مرتبطا بالأدب العربي الرسمي مشدودا إلى المدرسة التقليدية التي ترى في الأدب الشعبي ضربا من التعبير لا يرقى إلى مستوى الدراسة ، والبحث وفكرة دراسة الأدب الشعبي فكرة جديدة ، ارتبطت في بعض المراحل بالدعوة التي ظهرت في الشرق الى استعمال اللغة العامية بدل الفصحة باعتبارها اللغة التي يتكلمها الناس في الحياة اليومية »[1] ربما كان لتلك الأفكار تأثيرها في المثقف الجزائري الذي كان يتابع تطور النهضة العربية في الشرق بالاهتمام ويحاول أن يستفيد من كل ما يجري في الوطن العربي ، كما أن المثقف الجزائري قد عرف بحرصه الشديد ، وحفاظه على قواعد الإعراب ولا يزال ينظر إلى من يخطئ في النطق ، ويلحن في الكلام نظرة خاصة تربط المعرفة ، والسعة في العلم بقواعد الإعراب وقد كان وضع اللغة العربية في الجزائر وضعا شاذا ، يلزم المثقفين الجزائريين بأن يكافحوا من أجل استرجاع اللغة العربية ومكانتها باعتبارها اللغة القومية التي يتكلمها الشعب الجزائري . ومن هنا فإن

[1] د.التلي بن الشيخ ،دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830-1945 ،م س، ص91

الاهتمام بدراسة الأدب الشعبي كان قضية جانبية بالقياس إلى الوضع الثقافة العربية . وربما أسهم الاهتمام بالأدب الشعبي في إعطاء فرصة للدارسين الفرنسيين الذين حاولوا بشتى الوسائل أن يثبتوا عجز اللغة العربية ، وضعفها عن أن تكون لغة علم وحضارة .

المطلب الثاني :مميزات الأدب الشعبي الجزائري : فلنتمعن في لغة الشعر الشعبي يلاحظ أنها « لغة رصينة متميزة ، تستعمل مفردات من اللغة العربية الفصيحة، والعبارات يقل استعمالها بين فئات المجتمع، التي لا تتوفر على قدر مهم من الثقافة، والتعليم، كما تستعمل مفردات مقترضة من لغات أجنبية ونظاما صرفيا متميزا »[1].

وقد حدد عبد الله الركيبي ثلاث مستويات لغوية في الشعر الشعبي ، وهي

1-«المتفاصح : والمقصود به اللهجة القريبة من الفصحى بقدر كبير.

2-العامي الخالص : والمراد به اللهجة الدارجة التي درج عليها الناس ، وهي تقترب من لغة الحديث اليومي بين الناس

3-اللهجة البدوية : وهي المتداولة بين شعراء البداوي ، وهي مزيج من المتفاصح ومن العامية ، أو من اللهجة الخاصة لأهل البادية»[2] .

يمتاز الأدب الشعبي بالعراقة، فهو يحفظ لنا تراثاً نستطيع بدراسته أن نتعرف على الحياة الفكرية، والروحية، والاجتماعية لأسلافنا الأقدمين، إلا أنه من ناحية أخرى يطلعنا على الخلفية التاريخية لآدابنا الشعبية المعاصرة، وما تحوي من تضمينات أسطورية شائعة فيها، ترجع في صميمها إلى تلك الآداب الشعبيةالتاريخية .

ولما كان «الأدب الشعبي يتضمن الخرافة والأسطورة فقد ظن البعض أنه لا بد أن يكون أدباً محافظاً خلواً من الحيوية، والواقع أن الآداب الشعبية تتبنى الكثير من الألفاظ والتعبيرات التي تظهر في أوقات مختلفة مقتبسة من اللغات الأخرى أو معبرة عن اتجاهات واردة من الخارج، ويظهر ذلك في كثير من الأقوال الشائعة، والأغاني الشعبية التي تظهر متأثرة بظروف معينة، وناتجة عن حوادث بالذات فتشتمل على ألفاظ ذات أصل غريب عن بيئة واردة إليها من الخارج ولكنها تتبناها وتحيلها إلى أسلوب شعبي، شأنه شأن أساليب الكلام المعروفة هناك، كذلك تظهر في العامية مقدرة فائقة على التعبير عن أدق المشاعر

[1] عبد الله كوش، لغة الملحون،شعر الملحون بين ثقافتين العالمية والشعبية ،منشورات وزارة الثقافة ولاإتصال ،(د ط)، المغرب (د ت)، ص68

[2] محمد مونسي، مدخل إلى الشعر الديني الجزائري الحديث،حوليات التراث، ع1، 2004 ،ص103

والأحاسيس مما كتب للأغاني والمواويل الانتشار والخلود، ومما جعل الأدب الشعبي ينتقل من جيل إلى جيل، حتى أنه يمكن لنا أن نسميه أدب الماضي والحاضر المستقبل»[1].

ويرى البعض أن الأدب الشعبي لا يلتزم بالواقع بل إنه يحوي الكثير من الرمزية والتضمين، وأن قصصه وأغانيه تنصب في كثير من موضوعاتها على الخيال. ونقيض لهذا الرأي ما يدعيه البعض بأن الأدب الشعبي قوالب جامدة صماء تنقصها الخبرة والحيوية حتى تكون واقعية وذلك لما يتسم به الأدب الشعبي من السذاجة والبدائية- فهو لذلك لا يعتبر أدباً واقعياً بالمعنى المعروف في النقد الأدبي. أي أنه لا يعبر إلا عن حيز ضيق من حياة الإنسان، ولا ينفرج لكل ما تحويه الحياة من مدركات ومشاعر واقعية. ويبدو أن أصحاب هذا الرأي قد تجاهلوا كثيراً من خصائص الأدب الشعبي ومحتوياته- فالأدب الشعبي يتناول كثيراً من الحقائق سواء منها الطبيعي أو الإنساني أو الاجتماعي المرتبط بالفرد وبالجماعة من عناصر مادية. كما أنه يتناول أيضاً العناصر الثقافية من أفكار ومبادئ وقيم، ذلك بالإضافة إلى ما يحتاج الإنسان من مشاعر وأفكار وخيالات وأوهام وظنون، وكل ذلك لا يمكن إلا أن يكون أدباً واقعياً لأنه مرتبط بحقيقة الوجود الإنساني، وتأثير مختلف العوامل السالفة في مبدع هذا الفن وخالقه- فلم يكن الأديب الشعبي لاهياً ولا عابثاً ولا راغباً في شغل وقت فراغه، على نحو أجوف خال من المشاعر والقيم، بل كان معبراً عن حاجات نفسية واجتماعية يعيشها بذاته، وتعيشها الجماعة التي ينتمي إليها، ومن هنا كان انتشار الأدب الشعبي وتداوله بين أفراد الجيل، ثم انتقاله من جيل إلى جيل، معبراً عن وحدة الفكر في الجماعة وتشابه الميول، والاتجاهات، مع وحدة الآمال والآلام- ومن ناحية أخرى معبراً عن العقلية الجمعية التي تسود أبناء الجماعة الواحدة، وتنتقل من جيل إلى جيل. كما يرى ديركايم، ومن هنا كانت الجماعية سمة بارزة من سمات الأدب الشعبي، حتى أننا نرى أنه مجهول المؤلف فهو نتاج جماعة مهما كان مبدعه في الأصل فرداً، كما أنه لا يتخذ صورة نهائية عند ظهوره، بل ينمو ويتغير مع الأجيال، ذلك أن كل جيل يضيف إليه من ذاته، وظروفه، ومشكلاته ما يجعله متمشياً معبراً عنها- فقطعة الشعر من الأدب الشعبي تكون قد ظهرت على نحو ما في فترة معينة، ثم بقيام ثورة، أو وقوع حادث ذي أثر في نفس الجماعة يتحور بعض ما بتلك المقطوعة الشعرية من ألفاظ ومعان حتى تعبر عما يشغل الجماعة، وما يكون صدى لمشكلاتها، إن كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غير ذلك. كذلك كانت وسيلة نقله وتداوله، وهي الشفاهة والسماع من أهم أسباب التغير فيه، فالنقل الشفهي لأي موضوع يعرضه لبعض التغيير بالإضافة أو الحذف- أو انتقال عناصره من موضوع إلى آخر، حسب أهميتها كما

[1] الانترنت،الموسوعة العربية،14/03/2018، 20:15

تبدو للناقل- فهو ملك مشاع بين الجميع، يستمعون إليه في مجالسهم وأفراحهم وأحزانهم وشتى المناسبات عندهم، فيطربون له أو يصغون إليه، أو ينتفضون منه أو يعدلون في ألفاظه وتراكيبه، على اعتبار أنه ملك لهم وجزء من ذاتهم، وتعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم .

وهناك سمة أخرى تظهر بوضوح في الأدب الشعبي، ذلك أنه لا يختص بالأدب كما هو معروف في القصص، ولكنه يشمل معارف وعلوماً شعبية بما تتضمنه من تعاويذ سحرية، وتنجيم، ووصفات علاجية- ذلك بالإضافة إلى ما يحتويه من معلومات تتصل بالحرف الشعبية بكل تفاصيلها العملية- إنه أدب الحياة - أدب العمل- أدب المشاعر وخلجات القلوب، ولا يمكن أن يعيش الإنسان في فراغ، فلا تمضي به لحظة إلا وهو يمارس حياته على أي نحو من الأنحاء، فهو يفكر، ويعمل، ويفرح، ويحزن، ويستحسن، ويستهجن، وينقد، ويسخر أو يمدح، ثم هو من خلال كل ذلك لا ينسى روح المرح، فكثراً ما أظهر الأدب الشعبي المصري- كسمة من سماته البارزة- ميله الكبير إلى المرح عن طريق التشبيه أو النكتة أو التورية أو غير ذلك من ضروب التعبير التي تؤكد هذا الاتجاه، وتشير إلى جانب عام من جوانب الشخصية المصرية.

-3-هذا الأدب الشعبي ذو أثر في نفوسنا لأننا ننفعل به، فيرضي بنا جانب الوجدان، ويعبر عن قيم فنية واتجاهات جمالية ضمن أحاسيسنا الشعبية، وإن في ذلك، توحيداً للذوق العام للمجال في الأسلوب، وفي المعنى، في استثارة نوازعنا الشعورية، كما أنه تعبير عن حاجاتنا الاجتماعية، والفنية، والروحية- كأفراد لمجتمع يعيش في ظروف موحدة وفي فترة معينة من الزمان، ولا يعني ذلك أننا لا نقبل على الآداب الشعبية التي أنتجتها الجماعة في الماضي، وأن هذه الآداب قد فقدت فاعليتها، وأثرها بالنسبة لنا في الوقت الحاضر، ذلك أننا ما زلنا نطرب لآداب أنتجها المجتمع منذ وقت بعيد لا نعرف له تاريخاً ولا يمكن تحيده بزمان، وما زالت هناك الآداب تضرب على أوتار مرهفة في نفوسنا، وتدفعنا إلى ترديها، وإننا كثيراً ما نعمل على الاقتباس منها في مجتمعنا الحالي، ونعيد توزيع ألحانها ونتغنى بها، وقد تعدل بعض ألفاظها بما يناسب ظروف مجتمعنا، وتطور لغتنا، وثقافتنا

هناك جوانب كثيرة يتسم بها هذا الأدب الشعبي ، من حيث الشكل أو المضمون ومن هذه السمات :

أولا : **اللغة** : وصفها الدكتور محمود " محمود ذهني ":

« بأنها فصحى مسهلة ، أو ميسرة ، حتى تكاد تقارب العامية في الشكل الظاهري أما "ايليا الحاوي" فقال أن هذه الألفاظ قد تكون عامية ، مشبعة بروح الريف ، متداولة بشكل يومي ويقرر آخرون ، أن تناول الأدب الشعبي بالفصحى يجعله يتنازل عن قدر كبير من الحرية الشفوية التي يتمتع بها» [1]

ثانيا : **الموضوع** : موضوع الأدب الشعبي عام بحيث يمس كل فرد من أفراد الأمة ، وهو أيضا خاص ، بحيث يحس كل فرد بأنه موضوعه الشخصي الذي يهمه وحده ، أو يهمه قبل أي شخص آخر فالأدب الشعبي يتناول كل موضوع ، أو أي موضوع ، له اتصال مباشر بالشعب.

ثالثا : الشكل : يعتبر الأدب الشعبي قمة الوعي الفني ، فهو لا يحدد لنفسه شكا معينا ، ولا يأنف أن يستعير لنفسه أي شكل يجد أن فيه ، تحقيقا لأهدافه ومراميه ..فقد تقال قصة ما ..بعدها تعزز نتيجة القصة بمثل ما ، أو تحول القصة إلى أغنية شعبية .. أو مسرحية شعبية ، أو تزاوج بين هذه الأشكال مجتمعة.

رابعا : من حيث الوسائل : يستخدم الأدب الشعبي كل الوسائل المتاحة ، مثل وضع المفهوم المعين في أسطورة ، أو ملحمة ، أو سيرة أو دراما ..وكل همه تحقيق المضمون والغاية.

خامسا : العفوية والتلقائية : فالأدب الشعبي يساير الفطرة أكثر من الأدب الرسمي، وتتجلى هذه الفطرة في حبك الأدب ، وطريقة إبداعه المتغيرة ، من بيئة لأخرى ومن زمن لآخر : كما تتجلى الفطرة والتلقائية في لا منطقية السرد ، والربطبين الأحداث ، يعكس الأدب الرسمي ، الذي يعتمد على الربط والمنطقية من هنا أكد الباحث " أحمد رشدي صالح " أن الأدب الشعبي أكثر صدقا في اعطاء الصورة الحقيقية للعملية الاجتماعية ومن هذه السمات نستطيع أن نحدد للشعبية معلمين أساسيين هما :

1-**الانتشار أو التداول** : بحيث يشمل هذا الأدب كل طبقات المجتمع ، وذلك بعكس الأدب الرسمي الذي تتناوله طبقة معينة.

2- **التراثية أو الخلود** : إن هذا الأدب يستطيع أن يطفو فوق سطح الزمن ليقابل كل عصر بنفس الجدة والحيوية ويلتقي مع كل جيل بنفس الانفعال و التأثير.

من هنا يمكن أن نصف الشعبية بصفة تحددها وتدل عليها هي :" تراثية التداول" أي الانتشار و الخلود الانتشار على مستوى الأمة والخلود على الزمن من عصر لعصر وهذه الميزة " تراثية التداول " أهم ميزة للأدب الشعبي.

[1] الانترنت ستار تايمز،2018/04/13، 12:30

تمهيد

إن البيئة الصحراوية لها دور كبير في تكوين الشاعر وتزيده أكثر شموخا وسموا جرا قسواتها إذ تطبع إلهامه بطابع خاص كأمثال شاعر منطقتنا الملقب بأسد الشعراء خالد الشامخة ولد الشاعر خالد شامخة بن الشيخ في 1977/08/16غارداية ،ترعرع بمدينة متليلي الشعانبة من أسرة متوسطة الحال، قرأ القرآن في الكتاتيب،وبعد دلك توقف عن الدراسة في مستوى السنة التاسعة أساسي دخل للمركز التكوين المهني بمتليلي.

أما في مجال الفني فله عدة قصائد وكتابات في الشعر الملحون والشعر الفصيح الحر وشارك في عدة مناسبات ومهرجانات داخل وخارج ولاية غرداية تحصل على عدة جوائز وأول مشاركة له كانت في مدينة المسيلة في 1998/05/05 بعدها شارك في المهرجان الوطني الأول لتخليد الشاعر محمد بن طيبة في مدينة تيارت في 10ديسمبر 1998 في نفس السنة مثل ولاية غرداية بعيد الزربية جزائر بني مزغنة.
في 1999شارك في مهرجان الوطني الأول لنغمة ياي ياي في سيدي خالد ولاية بسكرة ثم المهرجان الوطني للأغنية البدوية والشعر الملحون في مدينة الأغواط.

وتحصل على المرتبة الثانية في المهرجان العالمي الخامس عشر للشباب والطلبة على مستوى ولاية غرداية ومشاركته أيضا في الملتقى الأول للشعر الشعبي تحت شعار الباصور بالأغواط في مطلع شهر جانفي2006 ومشاركته في المهرجان الدولي للسياحة الصحراوية في الطبعته الثانية بمدينة بسكرة في شهر مارس 2006 مشاركته في الخيمة الوطنية للشعر الشعبي في طبعاتها الخمس 2010-2011-2012-2013-2014.

أما المشاركة داخل الولاية فتمثلت في المناسبات الوطنية والدينية لإحياء ليالي الطرب ألحان وشباب تحت إشراف جمعية القوس للفن التشكيلي والسياحة والفلكلور أسندت له مهام المجال الثقافي بحيث أنه ممثل ولاية غرداية في الشعر الملحون وكدا ممثل الثقافة والإعلام لفوج النور للكشافة الإسلامية الجزائرية بمتليلي وممثل الشعراء في جمعية القوس .....لقب بأسد الشعراء في مهرجان نغمة ياي ياي بمدينة سيدي خالد ببسكرة ودلك من أحد كبار الشعراء كتب شاعرنا عن الحب والوئام والسباب وكتب عن الثورة والملاحم وواكب بمواضعه كل الأغراض الشعرية التي تعبر عن شخصية المرء بكل صدق دون المساس بالأخلاق والأغراض وله محاولات في قصص الأطفال ولديه قصة بعنوان مرجان الطفل البرمائي وهي في

طور الإنجاز ،أخر مشاركة له في مدينة البيض في ماي 2014 وملتقى الشعر الشعبي الجلفة 04 جوان 2014»[1].

مفهوم الوطن والوطنية :

يحدد العلاقة عبد الحميد ابن باديس في مقال خاص طبيعة الوطن الذي ينتمي إليه بقوله :«أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بمجه خاص، وتفرض عليّ تلك الروابط لأجله – كجزء منه – فروضا خاصة ،وأنا أشعر أن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة وكما أنني كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة إليه :إلى رجاله وإلى ماله وإلى آلامه، كذلك أجدني إذا عملت قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة إليه .هكذا هذا الاتصال المباشر أجده بيني وبين وطني في كل حال وفي جميع الأعمال ،وأحسب أن كل ابن وطن يعمل لوطنه لابد أن يجد نفسه مع وطنه الخاص في مثل هذه المباشرة وهذا الاتصال »[2]،كما قسم ابن باديس الوطن بحسب دواعي الانتساب إليه ذلك أن «من نواميس الخليقة حب الذات للمحافظة على البقاء ،وفي البقاء عمارة الكون ...فالإنسان من طفولته يحب بيته وأهل بيته لما يرى من حاجته إليهم واستمداد بقائه منهم وما البيت إلا الوطن الصغير .فإذا تقدم شيئا في سنه اتسع أفق حبه وأخذت تتسع بقدر ذلك دائرة وطنه ،فإذا دخل ميدان الحياة وعرف الذين يماثلونه في ماضيه وحاضره وما ينظر إليه من مستقبله ،ووجد فيهم صورة بلسانه ووجدانه وأخلاقه ونوازعه ومنازعه شعر نحوهم من الحب بمثل ما كان يشعر به لأهل بيته في طفولته ...وهؤلاء هم أهل وطنه الكبير ، ومحبته لهم في العرف العام هي الوطنية.فإذا غذي بالعلم الصحيح ،شعر بالحب لكل من يجد فيهم صورته الإنسانية ،وكانت الأرض كلها وطن له ،وهذا هو وطنه الأكبر...ولا يعرف ولا يحب الوطن الأكبر إلا من عرف وأحب الوطن الكبير، ولا يعرف ولا يحب الوطن الكبير إلا من عرف وأحب الوطن الصغير ..»[3] ،هذه إذن فلسفة ابن باديس حول مفهوم الوطن فهي فلسفة مبنية أساسا على الحب، ومن هذا الحب برز مصطلح الوطنية و«هي نزعة اجتماعية تربط الفرد بالجماعة، وتجعله يحبها، ويفتخر بها،ويعمل من أجلها ،ويضحي في

[1]-خالد شامخة ،ألوان من الواحات، دارصبحي للطباعة والنشر، ط1،2012، متليلي.غارداية، غلاف الأخير للكتاب

[2]–محمد الميلي ، ابن باديس وعروبة الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،ط2 ،1980، ص66

[3]–نفسه ،ص 174،175

سبيلها »[1].والوطنية بهذا المفهوم تستوجب الذود عن الوطن بكل الوسائل ،وكان من نتائج ذلك ظهور ما بات يعرف بالشعر الوطني وهو الشعر الذي يعكس وعي الشعراء المحدثين بواقعهم الجديد انطلاقا من تجربة شعرية جادة أثبتت الأيام مدى تأثيرها في نفوس أبناء الوطن وبخاصة في الحوادث الصعبة ،ولذلك لم يكن الأمر غريبا أن يتصدر الشعر الوطني الأغراض الشعرية في الجزائر بوصفه صرخية مدوية ضد همجية المستعمر الفرنسي وإصراره القوي من أجل طمس معالم الهوية الوطنية ،أين يكمن أثر البعد الوطني في الشعر الشعبي لدى الشاعر؟

[1]–محمد الصادق عفيفي ،الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ،بيروت ،ط1، 1969 ،ص 09

أثر البعد الوطني في قصيدة "حكايات بلادي"

مما لا شك فيه ، أن للشعر الشعبي «قيمة حضارية خالدة وجوهر تاريخي عظيم الدلالة ،يخلد مآثر الشعوب بصدق،ويعبر عن اتجاهاتها بصراحة وصفاء»[1].فهذا ما يميز قصيدة "حكايات بلادي "التي تصور لنا بعض الأحداث ومقاومات الشعبية وذكر بعض الشخصيات التاريخية التي قاومت للاحتلال بكل شجاعة ورجولة ثم كيف عمت الأحزان المدينة جرّاء الاحتلال وممارساته الوحشية الفظيعة في حق الأهالي الأبرياء، وتعتبر القصيدة من هذه الناحية وثيقة متميزة في مجالها ،وكذلك نجد الشاعر قد وظف ألفاظ تدل على الحماسة،والوطنية،والاعتزاز بما فعله أبناء بلاده،من خلالها يبرز لنا الشاعر نزعته تاريخية،ومدى تأثره بقضايا وطنه،موضح ذلك في الأبيات الأولى، بحيث أراد الشاعر من التاريخ تخليد ذكريات شعبه،التي عاشت الويلات من تجويع وتشريد ..... إلخ من طرف المستعمر الغاشم المجرم في حقها طيلة قرن وربع من احتلال .

يقول:

أَكْتُب يَا تَارِيخ عَنْ مَاضِي وَأَشْهَد وَفَجَّر ذِكرِيَاتْ شَعب عَاشْ الحِرمَانْ

سُولفْ عَنَّا حْكَايَات كُل بْلادْ وَسَجَّل رَصِيدهَا فِي آهَاتْ النِّسْيانْ

قَرن وَرُبْع مَافِيهَا حسَابْ ولاعَدْ هَذه سْنِين طْوِيلَة فَاتَتْ يَا زْمَانْ "[2]

أما في البيت الرابع،والخامس أراد الشاعر إحياء الروح الوطنية ،والإشادة والافتخار بالبطولات وأحداث التي قام بها أبناء شعبه في جميع أقطار الوطن،حتى تبقى ذكرى خالدة لدى الأجيال على مر الزمان .

يقول :

تْوَارِيخ بْلاَد نَحْكِيهَا مِنْ جَد لجَد بُطُولاَتْ حَقَّقنَاهَا فِي كُل مْكَانْ

أحْدَاثْ كْثِيرة عَنْ الوطَن تَشْهَدْ وَكُلْ بُقْعَة مِنْ أرضْ بْلاَدِي لِيهَا بَيانْ1

[1]– عبد المالك مرتاض،في الأمثال الزراعية دراسة تشريحية لسبعة وعشرين مثلا شعبيا جزائريا،ديوان المطبوعات الجامعية،(د ط)،الجزائر،1987،ص6.

[2] خالد الشامخة ،م.س،ص65

[1] م ن ، ص65

لقد تعددت الأسباب والمبررات التي ساقتها فرنسا عند دخولها الجزائر ،وتراوحت بين سرد قضية التعدي الجزائر على السيادة الفرنسيةَ و«لدفاع الشرعي عن الكيان الأمم الأوربية ،التي كانت تتعرض سفنها لعمليات القرصنة في حوض البحر الأبيض المتوسط»[1] .

فكانت حادثة المروحةٌ مكيدة غير مبررة في أدبيات الاستعمار الحديث لتتملص فرنسا من أداء ديونها المستحقة للجزائر وستتمكن من خلق ذريعة جديدة تجسد بها فلسفة الاستعمار التي ستجتاح العالم الثالث ،وتخلق وقعا عالميا متوحشا إن لم يجد ما يأكله يأكل نفسه ،وذكر الشاعر كذلك شخصية تاريخية من حكم العثماني و يمثل أحمد باي رمزًا هامًا من رموز المقاومة في بواكير الاحتلال الفرنسي للجزائر ، بل يمكن أن نقول إنه مع الأمير عبد القادر الذي كان قائد الجهة الغربية يمثلان أكبر رمزين للمقاومة سواء من حيث بلائهما ضد الاستعمار أو باستمرار مقاومتهما لمدة طويلة ، فالحاج أحمد باي حاكم الجهة الشرقية "قسنطينة" استمر يقاتل الفرنسيين حتى عام 1848 ورفض دائمًا الدخول في أمانهم الذي عرضوه عليه مرارًا وتكرارًا وأنزل بهم العديد من الخسائر في عشرات المواقع التي خاضها ضدهم،«كان لمقاومته معالم ميزتها دون غيرها من المقاومات، برزت بفعاليتها وطول زمنها وغيرها من الميزات التي استدعت البحث والتنقيب عن تفاصيلها وحيثياتها، من أجل استخلاص العبر والفوائد.»[2]

يقول الشاعر :

نَبْدَاهَا مِنْ عَهد البَاي أحمَد وَمنشَة دْرَاتْ الحَرب بَين البُلدَا ن[3]

ثم يعود الشاعر ليتكلم عن الظروف الصعبة التي مر بها شعبه و الأوضاع المتردية التي عاشها أبناء بلده من مشاكل سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية كانت متمحورة حول حياة الشعب الجزائري بمختلف فئاته وطبقاته فنجد فيها الجندي المقاتل في المعركة والطفل البائس المتشرد والسجن والوطن والموت والتعذيب والفقر والجوع والحرمان فهذه الكتابات الشعرية صورت لنا وقائع الثورة وامجاد أبناءها وبطولاتهم.

فنجد الشاعر وضح لنا هذه الظروف في البيتين السابع والثامن

[1] – سليمان قريري،القوى الوطنية في الجزائر ومقدمات الثورة التحريرية 1945-1954،رسالة ماجستير،جامعة الإسكندرية ،1988، ص7

[2] – د.التلي بن الشيخ ،دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830-1945،م س،ص107

[3] خالد شامخة ، م.س،ص65

شَعبْ الجزَائرِي عَاشْ فِي نَكَدْ فَقْر وُجُوعْ وَأمِّيَّة وطُغْيانْ

بِرغْم هَذا الشَّيء وَالقَلبْ مْصِيهَدْ نْفُوسْنَا تَغلِي وَثَايْرَة كَالبُرَكَانْ[1]

يسرد لنا الشاعر في هذه الأبيات عن مظاهر القوة العدو ،وحجم الأسلحة التي يمتلكها ،وفي المقابل يتحدث عن شعب بلاده الذي كان مسلحا بإيمان والذي تنبعث من نفوسهم العزم والإرادة مصرين على استرجاع سيادة وطنهم مهما كلفهم الثمن من التضحيات الغالية التي وهبوها فداء لتحرر الوطن بالنفس والنفيس شعارهم (النصر أو الاستشهاد) في سبيل الله والوطن رافضين الذل والهوان.

يقول :

العَدو كَانْ بِسْلاحُه دِيمَا وَاجِد بِدَبَابَاتْ وَمْدَافِع قُوَّاتْ الطَّيرَانْ

لَكن شَعَبْنَا كَانْ لِيه مْتجَنَدْ بُقُوة صْغِيرَة كُبرهَا الإيَمانْ

كُل وَاحِد مِنَا وَاقِفْ مِتْحَدِّي صَامِد وَما بْغَى الذَّل وْعِيشَة العُدْوانْ[2]

قد وظف الشاعر في هذه الأبيات كلمة "نوفمبر " لكنه يقصدها يوم اندلا ع الثورة التحريرية ، «وما إن دقت ساعة منتصف ليلة الاثنين ،الفاتح من شهر نوفمبر 1954،حتى كانت نار الثورة قد انفجرت،واندلع لهيبها في مختلف أنحاء القطر الجزائري بجهاتها الأربع»[3] في هذه الليلة التاريخية العظيمة وعظمة رجالها الأشاوس،الذين رافعوا راية الجهاد دون الاكتراث بالمخاطر ،فلبوا النداء للحد والفصل بين زمن الذل والهوان ،وزمن العزة والكرامة.

وكانت هذه الليلة المباركة، التي انتفض فيها الشعب،لاسترجاع وطنه وسيادته من المستعمر الغاشم،نجده يقول :

[1] خالد شامخة ، م.س،ص65

[2] م ن ،ص65

[3] –عبد الرحمان محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط 4،1994،ص395

نُوفَمبرَ يَا رَمْز العِزَّة والَمجْد الفَاتِح مِنك كَانْ مَصِير الشُّجعَا نْ[1]

أما في هذه الأبيات قد بين الشاعر في قصيدته مدى غيرة أبناء وطنه ،وكيف واجه المستدمر الظالم رغم الظروف الصعبة وقلة العتاد إلا أن الشعب كان مؤمن بالحرية وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة

يقول الشاعر :

بَعدَهَا نَار الغِيرَة وَعَيْن مَا تُرقُد علَى العَدُو بَين الصَّحرَاء وَالكِيفَانْ

كُل زُعمَاء الوَطَن كَانَت تْجَاهِد وكْرَامتْنَا كَانتْ رَأس مَالنَا والشَّانْ

كَرَامِتْنَا غَالِيَة مِنْ المِاسْو الزْبَرْجَد وَأثْقَل مِنْ الرْصَاصْ فِي كَفَّات المِيزَانْ[2]

قد ذكر الشاعر عدة مقاومات شعبية التي قام بها الشعب الجزائري عامة ،وجنوب الجزائري خاصة من أجل الانتصار والعيش في سلام ،منذ دخول الاستعمار الفرنسي الجزائر تصدى له الشعب في حركات ثورية متعاقبة فالشعب لم يقف مكتوف الأيدي أمام جبروت الاستعمار ،قد تنوعت أساليب المقاومة وتعددت ،فهذا شعب يثور،وهذا قلم يسجل ،وهذا سلاح يدوي،من بين المقاومات التي ذكرها الشاعر نجد أغلبها من مناطق الجنوب الجزائر من أشهرها معركة الزعاطشة ،«التي قادها بوزيان أحد الوقائع التى حدثت في جنوب الشرقي للجزائر»[3] 1848_1849[4]مقدمة ملحمة كان ثمنها أرواح الكثير من الأبطال الجزائريين،الذين وجدوا في موتهم كرامة وعزة لهم فكلهم فداء الأرض والوطن ولا شيء سوى السلاح يتكلم مع العدو الذي دخل النافذة دون أن يدق الباب ليجعل التعذيب والقسوة الناطق الوحيد مع شعب لا يستسلم بسهولة ولا يرضى لوطنه الذل والهوان.

ولهذا استلهم الشاعر هذه المعركة لأنها كانت عميقة الأثر في نفسه،نجده يقول في هذا البيت:

---

[1] خالد شامخة ، م.س،ص65

[2] خالد شامخة ،م.س،ص65

[3] –عبد القادر النايلي،المقاومة والإنتفاضات الشعبية من خلال المجلة الإفريقية بعنوان (LA REVUE AFRICAINE)- انتفاضة الزعاطشة نموذجا_ ،دار الهدى ،عين مليلة الجزائر ،ط1 ،2013 م،ص90

[4] –عبد الرحمان بن محمد الجلالي ،م,س،ص209

زْعَاطشَة فِي بِسِكرَة وَسِيدِي خَالِد البَارُود كَان شِعارْ أَهْل الزِيبَانْ[1]

وكذلك وظف الشاعر عدة شخصيات تاريخية وزعماء الثورة من بينهم ذكر الناصر بن شهرة الذي هو قائد وزعيم ومقاوم الاحتلال الفرنسي للجزائر خلال القرن 19 وتعد من أطوال المقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر بكونها ناهزت الربع قرن ،مما جعل قوات الاحتلال تلقبه بـ "الرجل الزائف "، هو شيخ قبائل الأرباع الهلالية بنواحي مدينة الأغواط . كان يروي أخبار الفروسية والكرم ،و أحداث الكر والفر في الحرب متمسكا بسيرة أسلافه شيوخ الأرباع وزعماء الصحراء ،كانت ولا تزال مثالا التفاني في وحب الوطن وذرة في الوعي بالمسؤولية .

يقول الشاعر :

الأغْوَاط بِنْ نَاصِرِ بِنْ شُهرَة عَانِد سِيَاسَة الإسْتِعمَار دَاك الجَبَانْ

مِنْ عَرش لَرْبَاع أصْل دَاك السِيِّد وَأعطَى لِلْعَدُو دَرس بْلاَعُنْوانْ[2]

وتحدث الشاعر عن منطقته متليلي الشعانبة وذكر فيها سليمان بلمختار الذي انخرط مبكرا في ثورة التحرير كان من أبرز الناشطين والفاعلين في الميدان حيث قام بتنفيذ عدة عمليات ضد العدو قدور بلخضر بيتور الشاعر الفنان الذي ساهم بقصائده الشعبية في تسجيل أحداث التاريخ بمنطقته ووطنه فقاسمهما الافراح و الأقراح وناصر قضاياهما بشعره داعيا إلى الوحدة والتضامن متجاوبا مع الأحداث التي خلدها في قصيدته فعند سماعك ما يتضمنه شعر فحل شعراء الشعانبة قدور بلخضر بيتور يتبين لك من الوهلة الأولى كيف كان محبا لوطنه و أبناء بلده وذلك ليس غريبا على الشعانبة الذي ينتمي اليهم شاعرنا حيث كان لهم الدور الكبير في جل الثورات الشعبية بالجزائر في الثورة التحريرية فمثل الشاعر

حَتَّى الشْعَانْبَة فِي عِزْهَا تَتْمَجَّدْ مِتلِيلِي قَادْهَا شْرِيفْ مُولاَي سْلِيمَانْ

فِي حُضْنُهَا تْرَبَّى ذَاكْ الأسَدْ بِلَّخْضَرِ قَدُّورْ مُجَاهِد شَاعِر فَنَّا نْ[3]

[1] خالد شامخة ،م.س،ص66

[2] خالد شامخة ،م.س،ص66

[3] خالد شامخة ،م.س،ص66

جاء اليوم الذي يقطف فيه الشعب ثمار كفاحه،ويحصد زرع صبره،وصلابته وصموده فكانت فأسه الإرادة والإقدام قد عبر الشاعر في هذه الأبيات عن بزوغ فجر الحرية التي أتى بها الثوار الأحرار الأبطال ،الذين هزموا الاستعمار ،وشروق شمس الحرية وتطلعات شعب إلى غد مشرق ،وفي أخر قصيدته مدى تلاحم أبناء الوطن الواحد من أجل قضية الحرية والعيش في سلام

يقول الشاعر :

خَمُسَة جوِيلِيَة عَصَافِير تْغَرْدْ وَحْمَامَة بَيْضَاءْ هِي رَمْزْ الأَمَانْ

رَايْتنَا فِي سْمَاء بْلاَدِي تَستَنْجِد بِأولاَدَها يَرفَعُوهَا فِي وْسَطْ عْنَانْ

هَذِي هِيَ بْلاَدِي فِي عَهدهَا تَتَنهْد وَهَذِه صَفحَة طُوِينَاهَا مَع النِّسيَانْ

أطْلَبتِك يَارَبِي الوَاحِد الصَّمَد تَرفَع عَنَّا البَلاَءَفِي كُل الأحْيَانْ

النَّار لِي مْهَججَة عَنَّا تَبرَد سَلَّطْهَا يَارَبِّي عَلى كُل العَديَانْ

نْتَّاحْدُوا وَنْدِيرُو اليَد فِي اليَد وَنْظَلَّوا خَاوَة مُجْتَمعِينْ كِي زْمَا ْن[1]

وفي الأخير نقول: إنّ الشعر الشعبي قد تتبع كفاح الشعب الجزائري في جميع مراحله وأطواره بل وساهم في التأريخ لبعض الثورات أو الأحداث التي لا نجد لها في بعض الأحيان مصادر تاريخية لتوثيقها كما رأينا في قصيدتي "حر الطير "و"حكايات بلادي" التي نجد فيها تأريخا لشخصيات وبعض المقاومات الشعبية ، مثل "بن ناصر بن شهرة" و"سليمان بلمختار" الذين لم ينالوا الاهتمام الكافي من المؤرخين ، فكانت هذه القصيدتين الحماسيتين بمثابة الملحمة التي تتغنى ببطولات هذا الشعب وأبطاله العظام ومعركة الإسلام والإيمان ضد الكفر والشرك.

و إن الروح الوطنية تتجلى بوضوح في هذا الشعر وهي تقوم أساسا على الدعوة إلى الجهاد والدفاع عن الوطن والدين الإسلامي والتفاني في صون القيم الثورية الخالدة، وبهذا فإن الشعر الشعبي ظل يتغنى بالوطن والوطنية ويدعوا إلى التشبث بالقيم النضالية دائما كلما كان الوطن في حاجة إلى أبنائه، فالشاعر

[1] خالد شامخة ،م.س،ص66

الشعبي لم يتخل عن واجبه في استنهاض الهمم وغرس الروح الوطنية لدى الأفراد على مر التاريخ الجزائري ولا يزال إلى اليوم يقم بدوره المنوط به على أكمل وجه ، ورغم قيام بعض الدارسين بالبحث في هذا المجال كما فعل الدكتوران التلي بن الشيخ والعربي دحو إلا أن هذا المجال مايزال محتاجا إلى العديد من الدراسات الأخرى المتعمقة خصوصاً بالجنوب الجزائري وبولاية غرداية ومتليلي على وجه الخصوص .

أثر البعد الوطني في قصيدة "حر الطير"

تعتبر الشخصيات الوطنية عاملا فعلا في تاريخ الأمم والشعوب ،ويقصد بها «الشخصيات التي ينشئها صاحبها انطلاقا من شخصيات ذات وجود فعلي في التاريخ»[1]، ومن أهم الشخصيات الوطنية التي ساهمت ولازال اسمها يكتب بحروف من ذهب في تاريخ الجزائر العميقة أسماء قد حكم عليها بالإعدام والذين هم من أبناء منطقة غارداية وقد تطرق الشاعر إلى أحد الشهداء في قصيدته "حر الطير"، الذين صدر في حقه حكم الإعدام في سجن بارباروس.

نجد الشاعر أنه يناشد التاريخ بتمجيد شخصية الشهيد البطل سليمان بلمختار ،الذي رمز له في البيت الأول الشطر الثاني بـ"حر الطير "،ورسوخه في الذاكرة الأجيال التي لمح لها في البيت الثاني (منقوش ،حاجة ماتمحيه) يقول الشاعر :

أحْكِي يَاتَارِيخْ فِي بَطنَك الأسْرَارْ حُرْ الطَّيْرْ اللِّي بْقِيت أكتُبْ فِي جَنْحيهْ

أكْتُبْ لِي بِدَم الشُّهَدَاء الأبْرَارْ مَنقُوشْ علَى الصَّم حَاجَة مَا تَمحِيه[2]

وثم يوضح الشاعر مدى حبه للوطن والاعتزاز به، ورغبته في السير على خطى أبائه المشرف الذين جاهدوا في سبيل هذا الوطن ،يقول الشاعر :

الجَزَائِر الغَالِيَّة يَامِّيمَة لَحْرَارْ وْطَنْ الحُبْ عْزِيزْ مِن قَلْبِي نَشْتِيهْ

[1] جويدة حماش,بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماحم والجبل لمصطفى فاسي – مقاربة في السرديات –،منشورات الأوراس ،الجزائر ،(دط)،2007م،ص68.

[2] خالد شامخة ،م.س،ص86

بْغِيتْ أنَا نَمْشِي فِي هَذا المِشْوارْ وِنَعلِي شَنيَال كَانُوا بَاتِي فِيْ ه[1]

ونلاحظ أن الشاعر وظف كلمة فدائي التي تعود على الشهيد سليمان بلمختار ،وهو الاسم المنسوب إلى المجاهد في سبيل الله والوطن ،ليجعله في مقام يشابه ماكان عليه الصحابة،

وقد تطرق الشاعر الى حياته المهنية قبل أن يلتحق بصفوف المجاهدين أنذاك يقول :

فِدَائِي مَعرُوف فِي صَفْالثُّوَّارْ يَشْهَد لِيهْ الكُونْ ويبَايِع لِيهْ

مُلتَزِمْ فِي خِدْمَتُه كَانْ مِنْالشُطَّارْ مُتَوَّرعْ بِالدِّينْ مَرْضِي وَالْدِيْ ه[2]

نجد في هذه الأبيات قد وظف الشاعر عبارات توحي بدلالات التعظيم والعزة.(يافحل الصحراء ،علامك معليه، ما نوفي تقصار ، نمجد ذكراك ،كلامي نرثيه) باختصار القول أن جميع ألفاظ هذه الأبيات قوية تحمل معنى الاعتزاز.

يَاسْلِيمَانْ اليَوم نَذكُرك فِيك أخْبَارْ يَافَحْل الصَّحرَاء عْلاَمِك مْعَلِيهْ

مَهمَا قَلت عْلِيك مَانُوفِي تِقصَارْ وَنْمَجَّد ذِكْرَاكَ فِي كْلاَمِي نَرْثِيْ ه[3]

في هذه الأبيات نجد الشاعر يعبر بنبرة حزن وزفرة ملتهبة ،وقلبه يعتصر ألما على فقدان بطل سليمان بلمختار، في «يوم أول من ديسمبر سنة 1960 و على الساعة الصفر و النصف 00سا30 أعدم الشهيد سليمان بلمختار قرب سجن بارباروس بالجزائر»[4].

يقول الشاعر :

ضِيقْ عْشِية وْكِي وَصْلَتْ لخْبَارْ نعَت البَرقْ نَبْكِي أنَا وَنْحِيِّيهْ

[1] خالد شامخة ،م.س،ص86

[2] م.ن ،ص86

[3] خالد شامخة م.س،ص86

[4] قويدر أولاد مسعود قومار ،شهداء شعاب الشبكة ،(د ع،دت)ص50

تَحكَم عليه بِالإعْدَام جْهَارْ وَقت طْنَاعِش تَارِيخ مُوفِيهْ[1]

كما ابرز الشاعر لنا في هذه الأبيات جانب من الشجاعة التي كان يتصف بها بطلنا ابن صحراء

كَانْ علَى السَّجَّانْ مِتشَبَّط مِغْوَارْ بَطَل الصَّحْرَاء قَاسِي كَالصَّم وَنَزِيهْ[2]

وفي الأخير قد ختم الشاعر قصيدته بالترحم على الشهداء الأبرار ثم الصلاة والسلام على النبي

وهنا نجد أن الشاعر قد آلم بما جاءت به قريحته عن شخصية من شخصيات الوطنية ألا وهو الشهيد سليمان بلمختار أحد المحكوم عليهم بالإعدام في سجن .....والذي نرى أنه لم يسجل في سجلات التواريخ الوطنية والشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر.

فقد جعل الشاعر للشهيد صورة براقة للتذكر تاريخ أمجاد أبناء الوطن الواحد الذين ضحوا من أجل أن تحيى الجزائر حرت مستقلة.

أثر الشعر الوطني في قصيدة "حكايات بلادي"

يوظف الشاعر الشعبي الجوانب الجمالية في قصائده التي تعتبر جزء لا يتجزآ من القصيدة ،فهو يمثل الثوب الذي تلبسه القصيدة، في نقل أحاسيسه ومشاعره الداخلية المجردة نجدها يوظفها بصفة جديدة تتضح دلالتها من خلال استخدامها ،لذلك يمثل الشعر حسب كولردج:«أفضل الألفاظ في أفضل الأوضاع »[3]، تبعث الإحساس بجمال وفي ذات الوقت تجعل متلقيها يستوعب مفاهيم بشكل أوضح ،ويتعرف من خلالها المتلقي مقصد الشاعر، يبقى الشعر الشعبي جنسا أدبيا يعتمد على أساس الكلمة المعبرة التي توحي إلى أشياء كثيرة

يلجأ الشاعر إلى هذه اللغة ليصب فيها الأحداث التاريخية لينقلها في الصورة التي تمتاز بالبساطة في ظاهرها بالتعقيد في باطنها وليس القصد الصعوبة في الوصل إلى مقصد الشاعر بل القصد أن اللغة

[1] خالد شامخة م.س،ص86

[2] م.ن،ص86

[3] محمد مصطفى بدوي ،كولردج ،نقلا عن قصى الحسين ،أنثر بولوجية الأدب ،(د ط، دت)، ص345

المستعملة تحمل معاني كثيرة يصعب أن تحملها كلمات عادية كما هو موضح في القصيدة "حكايات بلادي "

نلاحظ أن الشاعر قد وظف عبارات لها نفس الدلالة بصيغة الأمر"أَكْتُبْ "،"أَشْهِدْ " ،"فَّجِر"،"سُولِفْ"،"سَّجِل "،وهذه الألفاظ لا تعدو أن تكون أفعال الأمر بطلب القيام بأمر في ظاهره ،لكنها عند الشاعر تعني أكثر من التاريخ أن يعيد أحداث ماضي بطولات الشعب الجزائري وينشرها بين الأجيال والذال على ذلك الفعل "فجر" ولا ننسى جانب الفخر والإعتزاز الظاهرة من خلال النبرة الصوتية التي تميز هذه الألفاظ

أَكْتُب يَاتَارِيخ عَن مَاضِي وَأشْهَدْ وَفَجَّر ذِكْرِيَات شَعب عَاش الحِرمَانْ

سُولف عَنَّا حْكَايَات كُل بْلاَد وَسَجَّل رَصِيدْهَا فِي آهَاتْ النِّسيَانْ

قَرن وَرُبْع مَافِيهَا حسَابْ ولاَ عَدْ هَذه سْنِين طْوِيلَة فَاتَت يَازْمَانْ

تْوَاريخ بْلاَد نَحْكِيهَا مِنْ جَد لجَد بْطُولاَت حَقَّقنَاهَا فِي كُل مْكَانْ

أحْدَاثْ كْثِيرَة عَن الوطن تَشهدْ وَكُل بُقْعَة مِنْ أرضْ بْلادِي لِيهَا بِيَانْ[1]

إذا نظرنا إلى المعجم اللغوي الذي استقى منه الشاعر كلماته في فترة ما بين 1830-1954 ،نجده يعج بالألفاظ قوية المتجذرة في عمق المجتمع الشعبي الجزائري ومعبرة عنه في آن واحد كـ"الباي أحمد ، منشة، قلب مصَيْهدْ، نفوسنا تغلي، ثائرة كالبركان، نوفمبر "نلاحظ أن الشاعر يتحدث عن الأحداث التي أدت إلى احتلال الجزائر ،ووظف صورا وتشبيهات ليرسم لنا واقع مستمد من عمق الزمن التاريخي ،بحيث لا يمكن للإنسان الانسلاخ عنه أو التنكر له لأنه جزاء من الإنسان.

يقول الشاعر :

نَبْدَاهَا مِنْ عَهد البَاي أحَمْدْ وَمنَشَة دَارتْ الحَرب بَيْنْ البُلْدانْ

[1] خالد شامخة ،ألوان من الواحات، ،م.س،ص56

شَعبْ الجَزَائِر عَاشْ فِي نَكَدْ فَقْر وُجُوعْ وَأمِّيَّة وَطُغيَانْ

بِرَغْم هَذا الشِّئ والقَلبْ مْصِيهَدْ نْفُوسنَا تَغلِي وثَايْرَة كَالْبرْكَانْ

العَدُو كَانْ بسْلاَحهْ دِيمَا وَاجِدْ بِدَبْابَاتْ وَمَدَافِع قُوَّاتْ الطَّيرَانْ

لَكن شَعَبْنَا كَان لِيه مُتجَنَّدْ بُقُوَّة صْغِيرَة كَبَّرهَا الإيمَانْ

كُل وَاحِد مِنَّا وَاقِف مِتْحَدِّي صَامِدْ وَمَابْغَى الذِّل وْعِيشَة العُدوَانْ

نُوفَمبَر يَارَمزْ العِزَّة والمِجْدْ الفَاتِحْ مِنكْ كَانْ مَصِيرْ الشُّجْعَانْ[1]

وما ينبغي الإشارة إليه في هذه الأبيات أن الشاعر يوظف كلمات ليس مجرد تثير الشعور المتلقي وتجعله يتأثر بما يسمع،بل إنه في الحقيقة عبارة عن أرضية وصور تجسد الأحداث التي يرويها الشاعر لتجعلها حقيقة يعيشها المتلقي بخياله حين تنقله إلى موقع الحدث بكل تفاصيله كنار الغيرة، وعين ما ترقد ،العدو بين الصحراء والكيفان ،عقولنا تتفجر رعد ،قلوبنا نار لهيبها دخان" ،وهذا ما ساهم في جلبه الصدق الذي تحلى به الشاعر الشعبي،وفي الحقيقة تبدو اللغة الشعرية أكثر دلالة حين توضع في سياق محدد ذلك أن «الأديب يجهد في كبح جماح اللغة وتطويعها لتخدم له هدفا مجدا،والأديب لا يمكن أن يأتي له أن يبني شكلا أدبيا لغويا خارج جماعته ،فالأديب مقيد بمستوى لغوي معين ،يحدده الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمرحلة التي يعيش فيها ؛فالأديب يستخدم لغة جماعة بطريقة خاصة»[2]

تجعل من لغة الشعراء ،لغة شعرية تمتزج فيها المعاني والدلالات لتصل مشحونة بمقاصد الشاعر وعواطفه ونوازعه ونفسيته أكثر صدقا وقدرة في التعبير ؛فعندما يتعلق الأمر باللغة اليومية يصبح ما يكون ،حيث صنع ملحمة يقف فيها الجمال أوالفن والمعرفة جنبا إلى جنب ليجتمع الإثنان في واحد وتبرز القصيدة في حلة بهية الطلعة عنوانها على ما يبدو سحر اللغة يعانق المعرفة .

يقول الشاعر :

[1] خالد شامخة ،م.س،ص65

[2] فصل سالم العيسى،النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية،(دط،دت) ص196-197

بَعدْهَا نَارْ الغِيرَة وعَينْ مَاتُرْقِدْ عَلَى العَدُو بَينْ الصَحْرَاء والكِّيفَانْ
كُل زُعمَاء الوَطَن كَانَت تْجَاهِدْ وَكرَامِتنَا كَانَت رَأس مَالْنَا والشَّانْ
كَرَامِتْنَا غَالِيَة مِنْ المِاس وَالزْبَرجَدْ وأَثْقَل مِنْ الرْصَاصْ مِنْ كَفَّات الميزَانْ
وَكَانَت عْقُولنَا تَتْفَجَّر رَعْدْ وَكَانَت قْلُوبنَا نَار لْهِيبهَا دُخَّانْ
شُورَاتْ فِي كَامِل أَقْطَارْ البِلاَدْ مِنْ التَلْ لِلصَّحرَاء فِي كُل مْكَانْ [1]

قد أستعن الشاعر بتقنيات عدة لتشكيل قصيدته بطابع جمالي لتتوافق مع خوالجه الشعرية ،دون المبالغة ،ويوظف اللهجة العامية ولكنها تختلف عن لغة التخاطب اليومي فالشاعر يبث فيها روحا جديدة ويستخدم آليات تسانده في التشكيل عواطفه وأفكاره وتصوراته

يقول الشاعر :

مِنْ العَاصِمَة علَى العَدُو كَانْ الرَّد بَرْبَارُوسْ وعَرُوجْ خَاوَة مِنْ اليُونَانْ
زْعَاطشَة فِي بِسِكرَة وَسِيدِي خَالِد البَّارُودْ كَانْ شِعَارْ أَهِلْ الزِيبَانْ
الأَغْوَاط بِنْ نَاصِر بِنْ شُهرَة عَانِد سِياسَة الاسْتِعمَارْ دَاك الجَبَانْ
مِن عَرش لَرِبَاع أَصْل دَاك السَيِّد وأَعْطَى لِلْعدُو دَرسْ بَلاَ عنْوانْ
حَتَّى الشْعَانْبَة فِي عِزْهَا تَتمَجَّد مِتْلِيلِي قَادْهَا شْرِيفْ مُولاَي سْلِّيمَانْ
فِي حُضْنهَا تْرَبِّى دَاك الأَسَدْ بِلَّخْضَرْ قَدُّورْ مُجَاهِدْ شَاعِرْ فَنَانْ
غَير لِي مَابْغَى وَدِرنَا ألفْ عَاهِدْ شَايلا هَذه البلادْ وُمَالِّيهَا بِالاحْسَانْ

[1] خالد شامخة ،م.س،ص65

كُل لِي لَبَّى بمَالِيهْ ونَفْسه جَاهِدْ عَلَى تَحْرِيرْ البْلاَد مِنْ يَدِّينْ الطَّمعَانْ

حُبِي لِيك يَا بْلاَدِي علَّى القَّلبْ قِدْ وقِدْمَا كَانِتْ النْجُوم علَى لَعْيَانْ

خَمسَة جوِيلِيَة عَصَافِير تْغَرَّدْ وَحْمَامَة بَيْضَاء هِي رَمزْ الأَمَانْ

رَايتْنَا فِي سْمَاء بلاَدِي تَسْتَنْجِدْ بأَوْلاَدْهَا يَرفْعُوهَا فِي وسَطْ عَنَانْ

هَذِّي هِيَّ بْلاَدِي فِي عَهِدْهَا تِّتْنَهدْ وَهَذِه صَفْحَة طْوِينَاهَا مَعَ النِّسْيَانْ

أطْلَبتِكْ يَارَبِي الوَاحِدْ الصَّمَدْ تَرْفَعْ عَنَا البَلاَء فِي كُلْ الأَحْيَّانْ

النَّارْ لِي مهَجْجَة عَنَّا تَبْرْدْ سلَطْهَا يَارَبِي علَى كُلْ العِدْيَانْ

نتَاحْدُو اوندِيرُو اليَدْ فِي اليَّدْ وَنَظَّلُوا خَاوَة مجْتَمْعِينْ كِي زْمَا ْن[1]

في هذه الأبيات قد أجاد الشاعر في التصوير المقومات الشعبية ،و الأبطال الذين هم من أبناء بيئته بأدق التصوير «فالصورة هي البؤرة الفنية الأساس التي تنطلق منها خيوط التشكيل الشعري »[2] لذا حظيت بتوصيفات عدة منها «رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة »[3] أو هي «أخطر أدوات الشاعر بلا منازع »[4] وهذه الصورة تحيى من بيئة الشاعر ،حتى تسكن عقل وفؤاد المتلقي فلا تفارقه أبدا .

[1] خالد شامخة ،ألوان من الواحات، ،م.س،ص66

[2] محمد صابر عبيد ، السيرة الذاتية –قراءة في التجربة الشعرية شعراء الحداثة العربية –دراسة نقدية إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، ع1،1999، الشارقة ،ص44

[3] سيدي لويس ،الصورة الشعرية ،ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرون ،دار الرشد للنشر والتوزيع ،(دط)،1982بغداد ،ص32

[4] على عباس علوان ،تطور الشعر العربي الحديث في العراق ،اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج ،منشورات وزارة الإعلام ع1،1975،بغداد،ص41

وفي الأخير يختتم الشاعر قصيدته " بجاه النبي سيدنا محمد" الفكر الديني نجده سائد عند الشاعر وهذه من المميزات الشاعر يقول ابن رشيق القيرواني :«بأن القصيدة الجيدة ،هي ما توفر فيها حسن الخواتم، واشتملت على لطف الخروج »[1]

يقول الشاعر:

بَجاه النَبِّي سِيدْنَا مُحَمَدْ وَال وَصَحبِه مِنْهُم عُمَرْ وعُثْمَانْ

نخْتَمْ كْلاَمِي بِاسْمِي خَالِدْ شَامْخَة مِنْ مِتْلِيلِي الشْعَانْبَة أَهِلْ العُرْفَانْ

دلالات البعد الوطني في قصيدة "حر الطير"

الشعر رسالة حضارية،أساسها التأثير والتأثر، لهذا لجأ شاعر إلى غرض الرثاء في قصيدته "حر الطير" لأنه يجد فيه الشاعر متنفساً عما يكنه قلبه من آلام.

الرثاء في اللغة مشتق من الفعل (رثى) يقال رثى الميت رثياً ورثاء ورثاية ومرثاة ومرثية بمعنى بكاه بعد موته وعدد محاسنه ، ورثى له بمعنى رحمه ورق له ، والرثاية: النوّاحة[2].

والرثاء في الاصطلاح: هو تأبين الميت وذكر محاسنه وفضائل أخلاقه وتصوير ما يترك فقده من أثر في القلوب من أسى وحسرة وفزع.

ويرتكز الرثاء على العاطفة بل يمكن القول إنه أصفى أنواع الشعر العاطفي وأكثرها اتساقاً مع النفس الإنسانية ، لأنه يستمد مادته من القلب وليعبر عنها يؤطرها بآراء سامية عميقة ، وكلما كانت العلاقة بالمرثي متينة جاءت القصائد أكثر قوة وأصدق عاطفة ، وكثيراً ما يقترن شعر الحماسة بشعر الرثاء لأن الشاعر كان يقصد الثأر من رثائه،وإما يعتز به وأراد إطلاقه كرصاصة محفورة في ذاكرة عبر الأجيال.

نجده يقول:

[1] القاضي الجرجاني ،الوساطة بين المتنبي وخصومه ،دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ،ط3،دت ،ص48

[2] اسعد محمد علي النجار جابرو رائدة مهدي ،الرثاء عند شعراء الحلة ،العين مادة (رثى) ، ولسان العرب مادة (رثى) والمعجم الوسيط دت ،دط ،ص: 329

أحْكِي يَا تَارِيخْ فِي بَطْنِكْ الأَسْرَارْ حُرْ الطِيرْ اللِّي بْقِيتْ اكتُّبْ فِي جَنْحِيهْ
أَكْتُبْ لِي بْدَمْ الشُّهدَاءَ الأَبْرَارْ مَنْقُوشْ علَى الصَّمْ حَاجَة مَاتمْحِيهْ
حَاجَة مَاتْنَسِيكْ يَا وطَنْ الثُّوارْ هَذَّا رَمزْ بْلاَدْنَا فِي كْلاَمِي نَّرْثِيهْ
والقَّولْ لِي جِيتْ فِي قَلْبِي معْيَّارْ رَاشِح فِي كفَّاتْ مِيزَانُو نُوفِيهْ
جِيتْ ليُومْ نخَاطْبَكْ بكْلاَمِي وأَشْعَارْ وَنْحَدثْ لجَيَّالْ كُل شِّيء بمْعَانِيهْ
الجَزَائِرْ الغَالُيَةَ يَامِّيمَة لحَرَارْ وْطَنْ الحُبْ عُزِيزْ مِنْ قَلْبِي نشْتِيهْ
بغِيتْ أَنَا نمْشِي فِي هَذَا المشْوارْ ونْعَلِي شَّنْيَالْ كَانُوا بَاتِي فِيهْ
التَّارِيخْ الزِّينْ شَاهِدْ يَاحُضَارْ يَنْطَقْ ليَّا كُل وَقتْ نتذَّكَرْ مَاضِيهْ
فِدَّائِي مَعْرُوفْ فِي صَفْ الثُّوارْ يشْهِدْ لِيهْ الكُونْ ويْبَايِعْ لِيهْ
مِلْتَزِمْ فِي خِدْمَتُه كَانْ مِنْ الشُّطاَرْ مِتْورِعْ بالْدِينْ مُرْضِي وَالْدِيهْ
بْطَلْ الشَّعْنَبْيَ اسْيَادِي بِلمُخْتَارْ كَانْ مِنْ الشُجْعَانْ حَاجَة مَا تغْرِيهْ
يَاسلِيْمَانْ اليُومْ نذَكْرك فِيكْ أَخْبَارْ يَافَحلْ الصَحْرَاءَ علاَمِكْ مَعْلِيهْ
مَهْمَا قَلِتْ عْلِيكْ مَانُوفِي تقْصَارْ وَنمَجدْ ذِكْرَاكْ فِي كُلاَمِي نرْثِيْهِ[1]

ففي هذه القصيدة الشاعر يرثي الشهيد "سليمان بالمختار" ،ولكن نجده لم يصرح به في الأبيات الأولى إلا في البيت ما قبل الأخير ، ولقد أشار إليه بـ"حر الطير"و هذا نوع من الجماليات التي يلجأ

[1] خالد شامخة م.س،ص86-87

إليها الشاعر لتعبير عن شعوره واستعماله كوسيلة للتواصل فالرمز إذن هو "تعبير عما لايمكن التعبير عنه في الحياة الداخلية ،في الذكرى ،في الانفعالات والانعكاسات "[1].

ويقصد هنا الشاعر بـ"حُرْ" ليست "الحرية "وإنما بعتيق الأصل ، أما دلالة " الطير "ترمز إلى التسامي الروحي والعلو والرفعة.

ثم ينتقل إلى الحديث عن إعدام الشهيد "بلمختار سليمان"، ويصف لنا الحزن والأسى الذي أنتابه عند وصول خبر إعدامه في زمن (ضيق عشية) التي رمز لوصول الأخبار"كالبرق "في السرعة .

نجده يقول :

ضِيقْ عْشِية وْكِي وَصْلَت لَخْبَارْ نعت البرق نبكي أنا ونحييه

تحكم عليه بالإعدام جهار وقت الطناعش تاريخ موفيه[2]

أما في هذه الأبيات يصف لنا الشاعر شجاعة وشهامة الشهيد "سليمان بلمختار " ، ووظف بعض التشبيهات ليقرب لنا هذه الشخصية ومدى صموده وقوته أمام العدو.

يقول الشاعر :

كَانْ عَلَى السُّجَانْ متْشَّبطْ مِغْوارْ بْطَلْ الصَحْرَاءَ قَاسِي كَالصَّمْ ونْزِيهْ

يَرْحِمكْ الله مَع الشُّهَداءَ لبْرَارْ وتُّسْكِنْ فِي جَنَتِهْ سَماهْ وأَرَضِيهْ [3]

وبهذا نستنتج أن الشاعر الشعبي يستعين من المعجم التاريخي ألفاظ ليرسم لوحاته واللّغة التي كانت مادة خاما استقاها من أفواه العامة في أسلوبها البسيط ليصنع منها لغة ذات معنى جديد؛«إذ تصبح

[1] دراجي أسليم ،في إنتظار إشارة الإبحار ،سلسلة الإبداع المعاصر ،دار الفنك للنشر ،ط1 ،الجزائر ،1994،ص33

[2] خالد شامخة ألوان من الواحات،م س،ص86

[3] خالد شامخة ،ألوان من الواحات،م.ن،ص86

اللّغة الشعرية لغة أدبية حقيقية »[1]، تبعت على الإحساس بالجمال في ذات الوقت تجعل متلقّيها يستمتع ويستوعبه.

[1] شفيق يوسف البقاعي ،نظرية الأدب ،منشورات جامعة السابع من أبريل ،ليبيا ،ط،1،1425هـ ،ص299

تمهيد:

تتعدد مواضيع الشعر الشعبي الاجتماعي، لأنه مرآة عاكسة لحال المجتمع ويصور طبيعة حال الإنسان وواقعه وهو منبر للنصح والإرشاد والتوعية والدعوة إلى تماسك المجتمع وإلتحامه، ونسج الروابط والعلاقات الاجتماعية، وكذلك الإهتمام بمختلف شرائح المجتمع وتعبير على مختلف مظاهر الأفراح والحفلات وهموم الناس وإهتمامتهم وحياتهم اليومية، وفي هذا الغرض نجد الغزل والفخر والوصف ...بأساليب حديثة ولغة عامة عصرية، أين يكمن أثر هذا الموروث في قصائده؟

المطلب الأول : أثر توظيف الموروث الشعبي في قصيدة"عروسة الجنوب

يتقمص الشاعر الشعبي عدة شخصيات في حياته الفنية ،ويلبس قصائده ثوب الأفراح كما أنه يتأقلم مع الزمان والمكان اللذان يعتبران من المقاييس الأساسية في نسج وإنتاج قصيدته لتكون بأبهى الحلل الشعرية والمشاهد.

"عروسة الجنوب" قصيدة تتكلم عن بيئة ومسقط رأس الشاعر، فقد أعطى لمدينته اسما مثوبا كعروس للجنوب، وقد خصص جانباً لعناصر الزربية ،التي تعتبر موروثا حضاريا تشتهر به منطقتنه.

«كما نعلم أن الزرابي تتعدد و تتنوع في بلدنا فهي فن تقليدي يبرز حقبة من التاريخ الحضاري لولايات وطننا الشاسع فمن الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب تتنوع الزرابي ويحكمها قاسم مشترك واحد وهو التعبير عن تقاليد وأصالة تراثنا العريق حيث تفننت جداتنا في زخرفة وتنميق الزرابي وكانت أناملهن الذهبية تنتج مزيجا من الألوان في تلك التحف التقليدية الجميلة، فإذا تأملنا بعمق لتلك الزرابي حتما سيقف مشدود أمام تشكيلات متنوعة من الزرابي يتبادلونها مع بعضهم البعض »[1].

فمثلا في جهاز العروس يجب أن تكون لها زربية من الزرابي، فهي تعد من عادات وتقاليد منطقتنا لا يكتمل جهاز العروس إلا وكانت له لمسة من زرابي منسوجة باليد لتعطي نظرة وحلة جميلة فهذه العادة نتوارثها من جيل إلى جيل لأن فيها ألوان وخيوط ورموز وتراكيب لونية هي أشبه ماتكون بجدريات فنية صنعت مجد الصناعة التقليدية الجزائرية ،فهذه الزرابي التي ذكرتها من بين أقدم الزرابي تتضمن خيوطها المتناسقة عبق تاريخياً في صناعة الزرابي.

وكانت ولازالت الزربية الغرداوية يضرب بها المثل كتحفة عريقة وحضرت في الكثير من المهرجانات الدولية والمحلية حتى ذاع صيتها في كل مكان تلك الخصائص التي اكتسبتها بسبب جودة صناعتها وألوانها الجذابة وزخرفتها التي تسحر الأعين. فكانت ولازالت المرأة الغرداوية تبدع في فن الزربية وتجتهد لتبدع تلك الزخرفات التي جلبت أعين الزوار من كل الولايات الوطن، وكذلك السياح الأجانب حيث كانت الزربية الغرداوية حاضرة في الكثير من المعارض،ولهذا السبب الذي دعى الشاعر يتغنى بموروث منطقته وتخليد عاداتهم وتقاليدهم .

[1]– لقاء مع الشاعر خالد شامخة 2018/01/03، 11:00.

نجد أن الشاعر قد استهل قصيدته،بالبشرى والفرحة ،الغبطة ،السرور،ثم يتكلم عن خصال شعبه "الترحيب بالزوار"و كرم وطيبة أهل مدينته نجده يقول :

بُشْرة فَرْحَة لِينَا فِي ذَا النّهَار عرُوسَة الجنُوب مصنُعَة بالثَّوبْ الزِّينْ

أهلًا وسهلاً بالأحبابْ والزُوارْ نزلتُوا ضيَّاف عندنَّا راكُم معرُوضِينْ

جَوهرة الواحاتْ حضنُكم فِي ذَّا ديارْ الكَّرم والجُودْ بِه رَانَّا معُروفِ ْين[1]

يشتهر سكان غرداية منذ القديم بعدة أنواع من الصناعات التقليدية وتأتي في مقدمتها صناعة نسيج الزرابي فهي من الصناعات العريقة التي تمتاز بألوانها التعبيرية المستوحاة من الحياة الثقافية والاجتماعية والتاريخية للمجتمع الغرداوي.

« وقد اشتهرت منطقة متليلي بنسيج الزرابي وصناعة الألبسة الصوفية كالبرنوس والقشابية تشتهر المنطقة بصناعة الخيم والنحاس وصناعة الجلود والفخار إلى جانب بعض الأعمال الفنية المشكلة من مواد مختلفة مستوحاة من تراث المنطقة كالرمال وسعف النخيل ومكونات أخرى»[2]

في هذه الأبيات يتكلم الشاعر عن أهمية هذا الحدث ،الذي يعد "عيداً محلياً" خاص بمنطقته لما فيه من دلالات للتواصل بين الأجيال والتعارف على هذا الموروث وعن عناصره ورموزه التي تحكي تاريخ غرداية ، الذي ينظم كل سنة في الشهر مارس معرضا وطنيا لاستعراض الزرابي بمختلف أنواعها،إلى المحافظة على التراث الثقافي و ذكر كذلك "البرنوس "الذي يعتبر لباس تقليدي، ولمح في الأبيات عن المادة التي يصنعا بها "الأوبار".

نجده يقول الشاعر:

غرداية وردة متفتحة من بين النوار الزربية صنعتها خير من مال الجدين

عيدها كل عام يجينا بتحفة وتصوار أشكال وألوان باهية تغري الناظرين

[1] خالد الشامخة ،ألوان من الواحات،م.س، ص:20

[2] نواصر نصيرة ، مذكرة الامكانيات السياحية بالصحراءالجزائرية،غرداية ومتليلي الشعانبةانموذجا،جامعة، غرداية،2011،ص5

الزربية والبرنوس مصنوع من الأوبار حنابل ووسايد بالمارة مرقمين

خدمة امتنة ماليها حداق وشطار والرقمة فيها محطوطة صواب العين[1]

كما نرى القصيدة جاءت في قالب حواري ساخر ، وقد نصب شاعر نفسه حكما بين عناصر الزربية ويتكلم باسم كل واحدة منهم ،نلاحظ أن الشاعر لم يختار هذا الأسلوب عبث وإنما هدفه منه توصيل فكرة للقارئ وتوضيحها بأسلوب بسيط لتعرف على هذا المنتوج التقليدي

يقول الشاعر :

الحنبل والزربية راهم في حوار والبرنوس من الغيرة قال أنا حقي وين[3]

أما في هذه الأبيات نلاحظ أن الشاعر لم يكتفي بذكر أنواع الزرابي فقط ،بل حتى الرسومات التي تزين الزرابي ذكرها "الرقمة"، لأنها تحوي تلك الرموز تعبيرية لأنها تدل على عمق مجتمعه وإرثه الثقافي والتاريخي ،يقول الشاعر:

تكلمت الزربية قالت أنا مولاة إشهار رقماتي وألواني راهم باينين

ثم تطرق شاعرنا عن فضائل آلة النسيج و كل أداة من أدوات التي تشارك في الصناعة هذا المنتوج التقليدي ،الركيزة التي ذكره الشاعر على أنها صاحب العدل ، «توجد ركيزتان واحدة على اليمين والأخرى على اليسار توضعان عموديا والمسافة التي تكون بينهما من مترين ونصف إلى ثلاثة أمتار،في أسفل كل ركيزة يوجد ثلاثة ثقوب الأكثر ،ليوضع في أحد الثقوب خيط على شكل حلقة من أجل أن تثبت فيه عمود الميزان السدوة»[4]أما "النيرة " التي تعد روح المنسج وهي «ذلك الخيط الأفقي الذي يتخلل الخيوط العمودية بتركيبة شكل هندسي في غاية الروعة ،ودوره يتمثل في جذب الخيوط العمودية

[1]خالد شامخة، ألوان من الواحات،م س،ص20

[4]الباحث مختار شنينة ،زربية الشعانبية بين وسم الجمل وجز الصوف ، دار صبحي للطباعة والنشر ،ج1، ط1،2016 ص154

أي يجذب خيط ويترك خيط وهكذا على الطول الأفقي للخيوط (القيام)وعمله هذا مربوط مع العصا الأفقية التي هي من جريد النخل »[1]

يقول الشاعر :

البرنوس احشم وجه احمار ودخل المنسج بركايزو في الحين

قال انا هو العدل صاحب القرار قاطعته النيرة ياقليل الأصل روحك وين

لحقت لخلالة قالت سويت التعجار أنا كل شيء يحكموا فيا دوك اليدين

الخشبات داروا حضر وزادو حصار على مولاة البهى والملك والزين

القيام تكلم بخيوطو كالأوتار والطعمة تسحات منوا وقالتلو يا مرحبتين

ألحقهم الزراز وقال واش اللي صار الثقل فوق راسي والتعب من جهتين [2]

أما في هذه الأبيات نجد أن الشاعر قد وجه رسالة في قالب تراثي تكلم عن العدل والمساواة بين أبناء وطنه وبيئته واتحادهم في الصراء والضراء.

نجده يقول:

نجمعو شملنا ونتحدوا ضد الغرار وكلمتنا تكون واحدة ماهيش اثنين

نلاحظ إن في هذه الأبيات قد وضع الشاعر لكل صنعة ومكانتها في المجتمع على سبيل المثال "المنسج" كما نعلم هي ألة التي تصنع بها الزربية، والبرنوس والقشابية، أما الزربية التي اعتبرها الشاعر

[1] الباحث مختار شنينة، م س، ص157

[2] خالد شامخة، ألوان من الواحات،م س،ص20

« كنزا لأنها تحفة عريقة تعبر عن أصالة بيئته،وفي اللباس الشعبي القشابية الوبرية زي قديم ارتداه التاليين والصحراويين المصنوعة من وبر الجمال، والتي يتم صنعها بالمناطق الصحراوية»[1]،أما البرنوس فهو يرمز للشهامة والوقار والشموخ، ويتسم البرنس إلى ثلاثة أجزاء :جزء خاص بالرأس ويسمى القلمونة ويقال أنها نسبة إلى مكان ما ،الصدرية :وهي قطعة مطرزة بالخيوط من الحرير.

الأبيض (القيطان) ولها صُناعها ،الجناحان :وهما الطرفان الأماميان يرفعان حول الكتفين .

المنسج قالهم أنا ياخوتي ليكم صبار اعملوا فيا واش تبغوا أنا خدام أمين

الزربية قالت لهم أنا كنز وأثار وتقاليد بلاد بياراهم مشهورين

لقشابية قالت يلبسوني كبار وصغار ويعرفوني أصحاب الصحراء والتليين

البرنوس قال أنا كاسبني فارس مغوار ويعرفوني أصحاب الهمة و العلم[2]

ويختتم قصيدته بالصلاة والسلام على سيد المرسلين بقي أن نقول إن التمسك بالعادات والتقاليد من أجمل ما يكون، وإن ارتداء القشابية أو البرنوس يعود إلى زمن طويل، لكن ازدهارهما الآن ساهم أولا في خلق يد عاملة خاصة بعد إقبال الكثيرين على تعلم صنعها،

أثر توظيف الموروث في قصيدة زين القعدة :

هناك عادات وتقاليد بين قبائل الشعوب ولكل قبيلة ومنطقة تقاليدها وعاداتها الخاصة (زين القعدة) ومن بين المميزات التي تمتاز بها سكان البادية وهي إكرام الضيف من جنوبنا الجميلة فالضيافة عند أهل الجنوب أمرها عظيم وهي إحدى أركان عاداتهم وتقاليدهم التي توارثوها ولاشك أن هذا الطبع طبع أصيل يتميز به العرب عن غيرهم وذلك متى مادخل الضيف في مضربهم وحل في حماهم فتكون الضيافة عندنا بتقديم مشروب الشاي أي " أتاي" ويعتبر كعربون محبة.

[1] لقاء مع الشاعر، خالد شامخة،2018/02/07، 11:00

[2] خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م.س، ص 21

فهنا نجد أن الشاعر قد مجد الشاي في قصيدته وسماه " زين القعدة" لأنه يحمل أهمية ووقار عند سكان البادية ومدى تعلقهم به كمشروب خاص في أعيادهم ومناسباتهم و أعراسهم وحتى في الولائم وبدأها بكلمة "ولْفِي" أي الولف وهو الاعتياد.

مثل الشاعر هذا في البيتين الأولين :

ولْفِي كِي نْتفَكَّر زِينْ القَعدَات وَبِيه يَا سيَادِي نَكتَب ونقُولْ

نَنسَاه وِيجِينِي هُو بِالذَّاتْ مَحْلاَه فِي البَنَة مِيزَانُوا مَعْدُولْ[1]

ثم بين لنا الشاعر في الأبيات الموالية بما يلقب الشاي في منطقته أي في الصحراء الجزائرية وهي كلمة "أتاي" وبين أن الشاي (يحير العقول) وله متعة خاصة في الجماعة لأن له طقوس خاصة و أوقات معينة يتم إعداده فيها إذ ذكر الشاعر بتحضيره ما يتطلب (والورْقَّة – النَعْنَاعْ – السُكِر) إذ أفضل طريقة يحضر بها الشاي الجزائري الصحراوي غالبا يكون تحضيره على الجمر فتطلق الورْقَّة أي البذرة عبقها في الماء المغلي لتصنع منه ألذ مشروب ثم يوضع له النَعْنَاعْ فيعطي نسمات الرائحة الجميلة لكي يبين للقارئ العناصر التي نستعملها في طهي ألتاي كل على طريقته الخاصة ودور الشاي في السهرات وتجمعات الأصدقاء والعائلة.

فنجد الشاعر يقول:

إِسْمَهَ بِالتَّاءْ يَبْدَأ يَا سْادَاتْ والياء بعد الأليف تجبر العُقولْ

الأَتَّايْ فِي السْهارِي عنُّدو نفحاتْ الأتاي في الجمايع إسمو مقبُولْ

وَرْقَّة مخيرْة واحِد وسبعين بالذاتْ صَنْدُّوكهَا نَاطْق بالقَانُونْ المعُمولْ

سُكر فِي الحلاَوةْ عِسَّل الشهداتْ بِالْعِزْ طَالْ عَني داَك المرسُولْ

[1]خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص 92

نَّعِنَاع فِي الفَدَّانْ روايِّحْ نسَّمَاتْ مْحلاَ فوحُّتو نَاقِي مقسُولْ

كما أن للشاي ومذاقه ميزة خاصة، فطريقة إعداده تكون بوضع الماء في الإناء لدرجة الغليان ، بعد ذلك نأخذ قليلا من الشاي على حسب الكمية المطلوبة نشلل الشاي بقليل من الماء الساخن ثم نسكبه في الماء ونتركه يغلي على نار هادئة لمدة 10 دقائق ،بعد ذلك نأخذ اناء آخر نضع فيه قليلاً من النَعْنَاَع ثم نسكب الشاي عن طريق " الصفاية" فوق النعناع ونتركه لمدة دقيقتين ثم نصفي الشاي والنعناع داخل الابريق الذي نسميه في منطقتنا " البراد " الذي يوجد فيه كمية من السكر ونقوم بعملية المزج فيكون هذا الاعداد من شخص تكون له خبرة وشهرة في اعداد الشاي ويعتبر إسناد مهمة إعداد الشاي إلى أحد أفراد الجماعة يكون حلو اللسان وطيب المقعد وهذا من باب التشريف وليس التكليف.

فمثل الشاعر في البيت الثامن :

الأتَّاي فِي طيَّابُوا عَنْدُ وحِكْمَاتْ يَّرْحَمْ مِنْ طَّيبُوا فِي المِيْزُنوا المِكْمُولْ[1]

ويعتبر الشاي أحد الأشياء المهمة في حياة الإنسان البدوي كما بين جودة مادة الشاي وقيمته في الأسواق و أهميته وفوائده مثلا في الولائم يشرب الشاي بعد الوجبات الدسمة لأنه مساعد للهضم ويزيل ألم الرأس خاصة شاي العصر وبين الشاعر إننا نعزم الضيوف لشرب الشاي أكثر من الأكل لأنه يعد في منطقتنا علامة من علامات الاستقبال والكرم والترحاب فعندما يدخل بعض الضيوف المتأخرين يقولون كلمة "نَّعْلُو لتَّاي" بمعنى أعيدوا إعداد الشاي.

فمثل الشاعر هذه في الأبيات :

الأولْ مِنُوا يَا سْيَّادِي فَخر الشِّيعَاتْ وَبِيهْ تتْسَامَى أهلْ القُبُولْ

والسِرْ فِي الثَّاني نَعْنَّاعْ بفوحاتْ كِيسانْ يَا الخَّاوةَ يِذْهِبْ الخمُولْ

ومِنْ الثَّالِثْ سُكَرْ حلاَوتهْ بَنَّاتْ في شربتوا نصحا للُّطو ْ ل[1]

[1]خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص 92

كما قال المثلً "الكاس الاول ذهب والثاني فضة و الثالث هزؤ واخرج وأتوضأ".

فالشاي يستلزم تحضيره في مجموعة من الأواني والمكونات وهي : الصينية وهي مستديرة الشكل ولها ثلاثة أرجل وغالبا ماتكون من الفضة أو النحاس والكؤوس والبراد " الإبْرِيقْ" و السُكَرِياتْ " الرْبَابِعْ" هناك كبيرة وصغيرة الكبيرة للسكر والصغيرة للورقة " الشاي ".

"والغَلاَّيْ" هو إبريق كبير يستعمل لغلي الماء وقنينة الغاز المتوسطة الشكل "لبيتا" واذا كان الجمر لا داعي لها ومع الشاي دائما في منطقتنا نقدم معه الكاكاو فما كان الشاي إلا وكان معه الكاكاو الملقب بمنطقتنا بكاكاو سبسب (الفول السوداني) لديه مذاق جميل وحلو لأن سبسب معروفة بزراعته .

مثّل الشاعر هذه في الأبيات :

الأتَّايْ فِي السْهَّارِ يعَندو نفحاتْ الأتاي في الجمايع أسمو مقبولْ

سْنَيْوة مَتْحوُفَة كِيسَّانْو حَطَّاتْ برَارْيدْ مزوقَّة والخَيرْ سْيُّولْ

كَاوكَاو مَّحلاَه مَليَّان الحبَّاتْ سَبْسَبْ و الجدِيدْ بَّرُو معقولْ[2]

وقد ساهم هذا المشروب الخاص بالبادية بتوطيد العلاقات بين الناس وحتى التجار ، وأكد الشاعر في معظم أبياته أن الشاي قد كان سفيرا للمحبة وعنصراً أساسياً في حياة الناس بما فيها البيع والشراء ولحظات التذكير بشيء ما أو ما شابه ذلك وفق طقوس خاصة إذ يعتبر مناسبة لإحياء صلة الرحم وتداول الأخبار ومناقشة أمور الحياة الخاصة والعامة .

مثل الشاعر في هذين البيتين :

لأتَّايْ بِيهْ النَّاسْ بَاعِتْو شْرَّاتْ وبِيهْ فَكِيتْ بَّالِي لِي مشْغولْ

[1]خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص 92

[2]خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص 93

الَّنومْ راحْ عَنِّي قَيسْ الرقْدَاتْ ودعت و سَّايدُوا و اللَّيلْ يُطولْ[1]

ومن هنا نستنتج أن عدة عناصر لموضوع واحد وبين فيها أن قيمة الأشياء في المجتمع الصحراوي أو البادية ببساطة تجعل مدى تطور الروابط بين الأجيال في العديد من معاملتهم وكذا حضور الشاي في الأواني التقليدية مع طبق الفول السوداني (الكاوكاو) .

فمن هنا نلاحظ أن الشاي الصحراوي الجزائري يتميز بعادات وتقاليد متميزة تندرج في إطار موروث ثقافي يعكس هويتها ويرمز لتمييزها وفرادة عاداتها باعتبار الشاي من الأولويات التي يجب أن تقدم للضيف ونجد أن فيه نوع من المتعة خاصة في مشاهدة "القيام" صاحب اعداد الشاي وهو يعد لهم كؤوس الشاي حتى يتسنى ملاحظاتهم وتعليقاتهم على الأخطاء التي يقوم بها .

دلالات الموروث في البعد الإجتماعي

إن أثر البيئة بنوعيها الاجتماعية والطبيعية واضحة في الشعر خالد شامخة ،إذ إنّ هناك تأثيرات جلية المظاهر فيها اطلعنا عليه من نصوص شعرية ،مما يمكن الباحث من استخراج العادات والتقاليد بيئة الشاعر ومعرفة مدى تفاعل الشاعر معها ومع مظاهرها الطبيعية المحيطة به ذلك:«.....أن الفن إجمالا ،والشعر خاصة ينفعل بانفعال الإنسان بالبيئة الطبيعة من حوله ،وبالبيئة الاجتماعية التي يتحرك في بوتقتها متأثرا بكل ما يطبع هذه من سمات ومميزات»[2]. يتميز كل مجتمع بثراته وهويته التي تحدد ملامح رسوخه في الأرض وتكامله معها .

«يعد الشعر الشعبي بكل أغراضه وفنونه طيف متنوع الألوان والصور إذ يحاول الشاعر من خلاله أن يبرز ملامح الحياة الاجتماعية بكل أبعادها ومضامينها ،فتراه يجول بمخيلته تارة وبنظراته الإبداعية الثاقبة تارة أخرى ،وبهذا استطاع الشاعر الشعبي أن يصور وبفنية وجمالية ما يرى وما يحس ويظهر ذلك كون الشعر الشعبي حدث سماعي بالجمال والتصوير الوصف الذي يجسد يوميا بأسراره ومقاصده وخباياه في ميدان حياتنا الاجتماعية ،ويبقى صداه في الروح والذاكرة ،يحرك الهواجس ويؤجج المشاعر فيجعل بذلك اللغة

[1] خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص 93

[2] ميشال عاصي ،الشعر والبيئة في الأندلس ،بيروت ،دط ،1970، ص8

محتشدة بالطاقة الشعورية ، ومثقلة بجماليات المكان ،تفوح بزمن تجاوب الأخرين وتحمل في طياتها وهج الواقع والأبعاد النفسية»[1] .

تحيلك القصيدة إلى تاريخ الصناعة التقليدية في الجنوب، وعلى رأس ذلك صناعة الزرابي، والتي تعد عند أخل المنطقة رمزاً للجمال والبهاء والصفاء، ورمزاً لشاسعة وتنوع من جهة أخرى، ولهذا جاء العنوان يحمل هذه الرمزية في شقيه (عروسة) و (الجنوب) من أجل التثبيت هذه المعاني وترسيخها في تناسق جمالي بديع.

بدأت القصيدة ببيان كرم وأصالة مدينة غارداية وأهلها ومقصود هو (الزربية)،فناب الأصل عن الفرع في إحائية رائعة تبرز ذلك التوافق بين الجنوب وعروسة ، أو إن شئت بين غارداية والزربية.

بُشْرَة وفَرحَة لَيْنَا فِي ذَا النْهَار ... عرُوسَة الجَنُوب مصَنعَة بالثَوب الزَيْن

اَهْلاَ وسَهْلاَ بالأحْبَاب وَالزُوَار ... نزَلتُوا ضيَاف عَندْنَا رَاكُم مَعرُوضِين

جَوهَرَة الوَاحَات حضَنكُم فِي ذَا ديَار ... الكَرَم والجُود بِه رَانَا مَعرُوفِين

غَرْدَايَة وَردَة مفتَحَة مِن بين النُوَار ... الزَربِيَة صَنعَتهَا خَير مِن مَال الجَدَين

عِيدهَا كُل عَام يجِيْنَا بتُحفَة وتصورا ... أَشْكَال وأَلوَان بَاهيَة تَغرِي النَاظرِينْ

الزَربِيَة والبَرنُوس مَصنُوع مِن الأوبَار ... حنَابِل ووسَايِد بالمارَة مرَقمِيْن

خَدمَة امتَنَة مَاليْها حُدَاق وَشُطَار ... والرَقمَة فِيهَا مَحطُوطَة صْوَاب العَيْن

الحَنبَل والزَرْبِيَة رَاهُم فِي حِوَار ... وَالبَرنُوس مِن الغِيرَة قَال أنَا حَقِي وَيْن

تكَلمَت الزَربِيَة قَالَت أنَا مُولاَة اِشْهَار ... رَقمَاتِي وَأَلوَانِي رَاهُم بَاينِين

جَاء الحَنبَل وقَال أَنَا هُوَ الازْدِهَار ... خطُوطِي مسَقمَة بحوَاشِي مزَخرْفِين

البَرنُوس احْشَم وَجْه احْمَار ... ودخَل المْسَج برَكَايزُو فِي الحِين

قَال أنَا هُو العَدل صَاحِب القَرَار ... قَاطعَته النِيرَة يَا قلِيْل الأَصَل رُوحَك وِيْن

لَحقَت الخُلاَلَة قَالَت سُوَيت التَعجَار ... أنَا كُل شِئ يَحْكمُوا فِيَا دُوك اليَدَين

الخَشْبَات دَارُوا حضَر وزَادُو حصَار ... على مولاة البهى والملك والزين

[1] بولرباح عثماني ،دروسات نقدية في الأدب الشعبي ،الرابطة الوطنية للأدب الشعبي ،ط1 2009،ص37

القَيام تكَلَم بخيُوطُو كالأوْتَار وَالطُعمَة تَسْحَات منُوا وَقَالتْلُو يَامَرحَبتَين
أَلحَقهُم الزُرَاز وقَال وَاش اللِي صَارْ الثقل فوق راسي والتعب من جِهتَين
تكَلَم الجَبَاد ومعَاه دَاك المِسمَار قَالهُم نسَيتُوا عَشرَة وَخَدمْتِي طُول سْنِين
تكَلمَت القَشَابِيَة وقَالَت يَاسَتَار ومِن ذَا المِنسَج رَانَا مَحقُورِيْن
قَالــتْ لُو يــَا وَاحــِد أَنَانِي يَا حَقــَــار وَكَلْت أَمْرِي لله رَب العَالمِين
البَرنُوس قَالهَا مَاتخَافِيْش نَأخُد بالثَار نجِيبُوا حَقنَا بيَدينَا ورُؤسنَا مَرفُوعِين
لخُلاَلَة تكَلمَت وقَالَت ذَا عَيب وعَار هَذَا الشِئ مَاهُو مليح يَاحَاضرِين
نَجمعُو شَملنَا وَنتَحدُوا ضِد الغرَار وكَلمتْنَا تَكُون وَاحدَة مَاهِيش اثنَين
جَاهُم البَرنُوس وقَال أنَا لَيَا الإِخْتِيَار نشَارِكُم بشَرط تكُونُوا معَايَا مُتَحَدِيْن
المِنسَج قَالهُم أنَا يَا خَاوْتِي لِيكُم صَبَار اعمَلُوا فيَا وَاش تَبغُوا أنَا خَدَام أَمِين
الزَربِيَة قَالَت لَهُم أنَا كَنز وأَثَار وَتَقَالِيد بلاَد بِيَارَاهُم مَشْهُورِين
لقَشَابِيَة قَالَت يَلبسُونِي كبَار وَصغَار وَيَعرْفُونِي أَصْحَاب الصَحرَاء والتَلَيين
البَرنُوس قَال أنَا كَاسبَنِي فَارِس مِغوَار وَلاَ أصْحَاب الهمَة والعِلمْ والدِين
نَختَم بِصَلاتِي عَلى النبِي المختَار محمد شفِيع أُمتنَا الصَادِق الأَمِين
اسْمِي خَالد شَامخَة فِي أَخَر تَسْطَار شَامخَة هُوَ لقْبِي بَادِي بالشِين[1]

عروسة الجنوب قصيدة تنتمي إلى غرض الوصف لأنه « جزء من المنطق الإنسان ،لأن النفس مجبورة عليه ،إلى ما يكشف لها من الموجودات ، ولا يكون ذلك إلا بتمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التصور في الطبيعية هي أصدق في وصف الطرق من الطرق السمع البصري والفؤاد ، أي الحس المعنوي ،فالأمم الطبيعة ،لأنه سبيل الحقيقة في ألسنتها ولأن حاجاتها الماسة إليه تجعل هذا الحس فيها أقرب إلى الكمال ،فإذا أضفت إلى ذلك سعة العبارة ، ومطاوعة اللغة في التصريف ،كان أجماعاً للحس وأبدعاً في تصوير الحقيقة بما تكثر اللغة من أصباغها ويجيد الحس في التأليف بينها وتكوين المناسبات الطبيعية التي تظهر تلك الألوان المهيأة على حسب هذه المناسبات ،فكان لا يقع إلا على الأشياء المركبة من ضروب المعاني

[1] خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص 20-21

،وكان أجوده لذلك ما استجمع أكثر المعاني التي يتركب منها الشيء الموصوف ،واظهر مافيه وأولاها بتمثيل حقيقة» [1]

يصف فيها الشاعر (المنسج) ومكوناته في قالب حواري بين أنواع المصنوعات ومكوناته،فهو من جهة يعطي تفاصيل الصناعة (الزربية وغيرها) ليعرف القارئ بمكونات وأنواع التي أضفت نكهة ومذاقاً خاصين للزربية والنسيج، ومن جهة أخرى يشير إلى أن العمل الجميل ومتكامل لا يكون إلا بتظافر جهود الجميع،ولهذا جعل هذه المكونات شخوصاً تتكلم وتحتج لدمج المتلقي في صلب الموضوع و لتحقيق المتعة الفنية ،وجعل القصيدة حية نابضة متحركة وإلباسها صفة الإنسانية، ومن جماليات النص أيضا سعة الخيال والإبداع الفني وكثرة المجازات وكلها تساهم في إمتاع وإشراكه في نسج خيوط النص .

أما بالنسبة إلى البيئة الاجتماعية ،أبدعت في جمالية الشعر الشعبي ،حيث يتجلى تأثيرها بدءا بالظاهرة اللغوية ،ذلك أن اللغة المستخدمة في عمومها هي لغة المجتمع الذي يتواجد فيه ،والتي يفهمها ويتفاعل معها ،هذا مع ماتحمله هذه الظاهرة من قيم فكرية واجتماعية ،او كما يقول "عبد المنعم إسماعيل ":

« الأدب يستخدم اللغة أداة له ،واللغة من صنع المجتمع».[2] نذكر على سبيل المثال اللألفاظ التي وردت في القصيدة التي ترمز لبيئة الشاعر من بينها «حنابل :يقصد غطاء نسيجي تقليدي ،المارة :تعني الإشارة ،الحواشي كلمة دارجة تعني الحواف ،النيرة :وهي كبة من الخيط تربط أعلى المنسج لتعديل النسبج،الخلالة :أداة النسيج مصنوعة من الحديد ومقبض خشبي لرص النسيج،التعجار :كلمة دارجة تطلق على الشيء غير المستقيم ..»[3]وهي كلمات تدل على صنعة التقليدية التي يجيدها أهل منطقته، و ينسج الشاعر منها أروع القصائد التي تعبر عن تقاليد المنطقة.

دلالات التوظيف الموروث في قصيدة "زين القعدة" :

هناك عادات وتقاليد بين الشعوب ولكل قبيلة ومنطقة عاداتها وتقاليدها الخاصة التي تمتاز بها فصحراء الجنوب الجزائري تمتاز بالضيافة، فالضيافة عند أهل الجنوب أمرها عظيم وهي إحدى أركان عاداتهم وتقاليدهم فتعد هذه العادة طبعا أصيلا فالذي يميز الجنوب عن غيره من المناطق هي إعداد "الشاي" أي "لاتاي" فتناول ديوان ألوان الواحات قصيدة " زين القعدة" التي تتحدث عن الشاي في صحرائنا الذهبية

[1] مصطفي صادق الرافعي ،تاريخ أدب العربي ،ج2،دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان ،ط2،دت ،ص106

[2] عبد المنعم أسماعيل ،نظرية الأدب ومناهج الدرسات الأدبية ،الكويت ،دط،1981،ص8

[3] خالد شامخة ،ألوان من الواحات،م.س،ص20-21

فسمى الشاعر القصيدة ب " زين القعدة" لأن الشاي في منطقتنا هو الذي يزين ويحلي القعدة ويعتبر كعربون محبة، فاستعمل الشاعر غرض الوصف الذي يتخلله المدح في الأبيات الأولى من القصيدة ليصور للقارئ الصورة الجميلة وبين أيضا إعجابه العميقة بالشاي فرغبة الشاعر بمشروب الشاي دفعته ليتقن في هذا الفن من الكلام فمدح و وصف الشاي و أعطاه نظرة جميلة في نظر المتلقي لتجعله يتشوق أن يذوق الشاي الصحراوي الجزائري الذي يحمل أهمية ووقار في صحرائنا ومدى التعلق به كمشروب خاص في الأعياد والمناسبات و الأعراس و الولائم فمدح الشاعر هذا المشروب لأنه مضيف لضيوفنا ومرحبا ومستقبلا ومكرما بهم فالشاي له دور كبير في توطيد العلاقات بين الناس وعلاقات البيع والشراء بين التجار فهو يقوم أيضا بالتذكير بشيء ما وفق الأجواء والطقوس فقاموا أهل المنطقة بتمييزه ولقبوه بسفير المحبة .

فقصيدة "زين القعدات" تحمل الرمزية التاريخية الشيء الكثير فهو يشير الى الشاي (التاي) الضارب في أعماق التاريخ والمرافق الوفي للإنسان في حله وترحاله, حتى صار لازمة لا يمكن لأي شاعر أن يستغني عنها , والشاعر هنا يقصد به من يشعر بقيمة الشاي وجماله , وضرورته في كل الجلسات .

ولهذا فالعنوان يحمل دلائل هذه الاستنتاجات " زين القعدة" و (زين) بمعنى جميل و (القعدة) بمعنى الجلسة .

استهل الشاعر قصيدته بطلعة غزلية حيث جسد الشاي في شخص محبوب لايمكن الابتعاد عنه أو تجافيه , وهذا ما يضيف على النص جمالية لأنه يخاطب المشاعر و الأحاسيس و يدغدغ كوامن العواطف في النفوس.

أراد الشاعر أن يبرز جمال الشاي و تأثيره السحري ليس في شربه فقط ولا في مكوناته فقط , ولكن بدءا من حروفه فجعلها (تاء– ألف – ياء) بلسما يشفي النفوس ويجبر العقول في ايحائية جميلة وتهيئة نقية بديعة , أي أن مجرد سماع اسمه ونطق حروفه يحدث فيك نشوة فما بالك بمكوناته .

وتظهر هذه النشوة مرة أخرى في المكونات (الورقَّة المخَّيْرة) و (السُكَرِ وحلاَوتُّو) و (الَّنعنَّاع محْلاَّ فَوحتُو) ليجتمع جمال الشكل و المضمون في تمازج رهيب .

فنجد هذه الجمالية في الأبيات التالية للشاعر :

ولْفِي كِي نْتفَكَّر زِينْ القَعدَات وَبِيه يَا سيَادِي نَكتَب ونقُول

نَنسَاه وِيجِينِي هُو بِالذَّاتْ مَحْلاَه فِي البَنَة مِيزَانُوا مَعْدُول

اسُمه بِالتَّاء يَبدَأ يَا سَادَاتْ وَاليَاء بَعدْ الأَلِف تَجبَر العُقُول

الأَتَايْ فِي السْهَارِي عِندُو نَفَحَاتْ الأَتَاي فِي الجمَايِع اسْمُوا مَقبُول

وَرقَة مْخَيْرَة وَاحِد وَسَبْعِين بِالذَّاتْ صُندُوكهَا نَاطِق بالقَانُونْ المِعمُول

سُكَّرْ فِي الحْلاْوَة عْسَل الشَّهدَاتْ بِالعِز طَال عَنِي دَاك المرسُول

نِعْنَاعْ فِي الفَدَّانْ رْوَايِح نَسمَاتْ مَحْلاَ فَوحتُو نَاقِي مَقسُول

الأَتَايْ فِي طيَّابُوا عَندُو حِكمَاتْ يَرحَم مَن طَيبُوا فِي الميز المِكمُول[1]

أما عن مراحل شربه والمتعة في كل مرحلة فحدث ولا حرج فالأولى فخر وتسام لنكهته القوية , والثانية سرها في إذهاب الخمول , والنعناع سبيل ذلك , والثالثة بها يطول الصحو و هذا الإنسجام في مراحل الشاي طقس يجب احترامه فهو يشبه البروتوكولات الخاصة بإستقبال زعيم والتي تخضع لترتيبات خاصة من إنجاح الزيارة .

من جماليات أيضا هذه القصيدة التجسيد المعنوي أو المحسوس في صورة المادي أو الملموس, ويظهر ذلك من خلال جعل الشاي كأنه شخص يمشي ويتكلم ويؤدي رسالة .

(يجِينِي هو بالذَّاتْ) و (صندُوقهَا نَاطِق) و (طَّالْ عنِّي ذَّاك المرسُول) وهذا كله يساعد في تقريب المعاني للقارئ و تثبيتها في الذهن .

فبين الشاعر هذا في بيوته التالية :

الأوَّل مِنوَا يَاسْيَادِي فَخرْ الشَّيعَاتْ وَبِيْه تتسَامَى أَهْل القُبُولْ

[1] خالد شامخة ،ألوان من الواحات،م.س ،ص92

وَالسَّر فِي الثَّانِي نَعْنَاعْ بِفَوحَاتْ كِيسَان يَا الخَاوَة يذَهَب الخُمُولْ

وَمِن الثَّالِث سُكَّر حْلاَوتُوا بْنَاتْ فِي شَربتُوا نَصْحَا للطُولْ

الأتَايْ فِي السْهَارِي عِندُوا نَفْحَاتْ الأَتَاي فِي الجمَايِع اسمُو مَقبُوْل[1]

ومن بعد هذا نجد أن الشاعر تطرق أيضا الى غرض الوصف، فالشاعر الشعبي وصّاف مصور، لأن الصورة الفنية أساسية في شعره فوصف لنا الشاي ومكوناته و أشكالها كيف تكون ومع ماذا نحضره وذلك بطبق الفول السوداني (الكاوكاو) مع ذكر منطقته سبسب وبين قيمته في المجتمع الصحراوي و أنه يتميز بعادات وتقاليد متميزة تندرج في إطار الموروث الثقافي يعكس هويته ويرمز لتمييزها بأعتبار الشاي من الأولويات التي تقدم للضيف ، فاستعمل الشاعر هذا الغرض ليلبس القارئ ثوب التخييل والمتعة والتشويق وليعطي صورة جمالية لعادات وتقاليد منطقته ويرفع من شأنها .

فوصف لنا الشاعر هذه المكونات و أشكالها في هذه الأبيات:

سْنِيوة مَتْحُوفَة كِيسَان وَحَطات برَارِيد مزَوقَة والخَيْر سيُول

كَاوكَاو مَحْلاَه مَليَان الحَبَات سَبسَب والجدِيدْ بَرُو مَعقُول

لأتَاي بِيه النَاس بَاعَت وشرَات وَبِيه فَكَيت بَالِي لِي مَشغُول

النَوم رَاح عَنِي قَيسْ الرَقدَات وَدَعْت وسَايدُوا وَاللَيْل يطُول

القَول جَايبُو عَنَك فِي ذَا الكَلمَات وَمعَاني لِيك فِي السِر المهمُول

نَختَم يَاسيَادي فِي ذَا الأَبيَات بصَلاَتِي علَى الإمَام الرَسُول

خَالِد اسْمِي شَامخَة فِي الخَتمَات مِن مَتلِيلِي الشَعَانبَة جَايِب ذَا القَول

[1] خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص 92

اختار الشّاعر اللام الساكنة بعد واو المد للدلالة على السكون والهدوء الممتدين اللذين يحدثهما شرب الشاي في أصحابه ليزيد النص جمالا وتناغماً .

وفي الأخير نجد في القصيدة رمز بارز وهو " الشاي" وما يلقب " لاتاي" فالشاعر في البيوت الأولى لم يصرح به ليعطي شيء من الغموض في القصيدة والغرض منه المتعة للمتلقي . فالغرض الغالب في هذه هو غرض " المدح" الذي يمتاز بالصدق ويرسم الصورة الجمالية الجميلة لدى القارئ بإعتباره فن قائم بذاته لدا الشاعر يستعمل هذا الغرض ليتقن في هذا الفن من الكلام حيث يسعى إلى نظم الشعر الذي يتضمن الشكر والثناء . كما نجد في البيوت الأخيرة من القصيدة استعمل غرض الوصف الذي يتسم بالبساطة والحس الفني الذي يجمع بين الرقة والعفوية بحيث قام الشاعر بوصف الشاي ومكوناته .

ومن الظواهر الفنية التي تدل عل تأثير البيئة في شعره ظاهرة الألفاظ ، ففي هذه القصيدة نجد معجم لغوي خاص بمنطقة الشاعر ظاهرة ، فالألفاظ نجد منها :

فوحتو = رائحته ، ناقي = نظيف ، لخمول = الكسل ، السهاري = السهرات ، البنة = الذوق

فمن هنا نجد أن الشاعر استعمل هذين الغرضين ليبين القيمة الجمالية التي ترتبط بالذوق والخبرة و هذا ما وجدناه في شاعر منطقتنا خالد شامخة.

الفصل الرابع:الخصائص الفنية في البعد الوطني والاجتماعي

المبحث الأول : مفهوم البناء الفني في القصائد

المطلب الأول :الإيقاع الخرجي

المطلب الثاني : **الإيقاع الداخلي**

المطلب الأول :مفهوم البناء الفني:

يشكل البناء الفني في العمل الأدبي عموما والشعري خصوصا أساسا تشكيليا وجماليا من أسس العمل فلا عمل فني بلا بناء وكل عمل فني له خصوصية بنائية معينة ومحددة تتلاءم وطبيعة هذا العمل أن مفهوم البناء على هذا المستوى يعد حجر أساس في هيكلة العمل الفني.

البناء الفني الشعري تساهم فيه العناصر الفنية المشكلة للقصيدة «تتشكل القصيدة على وفق نظام بنائي قادم من منطقة العناصر ومستجيب لحالاتها وقوانينها كان عمل هذه العناصر سليما ومتينا و متماسكا انعكس هذا ايجابيا على نوعية البناء من حيث القوة والقدرة على حمل التجربة الشعرية التي اضطلع بها البناء الشعري يوصف البناء الفني عادة بأنه ليس مجرد شكل يتمظهر عبر ثقافة فنية معينة وإنما هو مضمون فني يندمج بهذا الشكل على نحو عميق وفعال ومنتج وهو على هذا النحو يمثل جوهر اللغة الشعرية ويعبر عن خصوصيتها ولا يمكن إدراك الصورة العامة للبناء إلا من خلال معرفة دلالته بعلاقة بنيانية متعددة ببعضها البعض .

فالبناء الفني يتميز على نحو شامل بالكلية والتحول والتحكم الذاتي على وحدات هذا البناء وتفاصيله ان القصيدة من دون بناء محكم يتداخل فيه»[1]، الشكل بالمضمون تداخلا عميقا ومنتجا ماهي سوى

« عبث يفتقر الا ادنى شروط العملية والمعرفة الشعرية »[2] ،ذلك ان لكل قصيدة بناء شعرا متميزا أو خاصا ونوعيا تختلف به عن غيرها من القصائد الأخرى أن القصيدة في بحثها هذا نموذج بنائي خاص بها ان تتمثل صورتها المطلوبة من خلال طبيعة نظمها ومكوناتها وتفاصيلها وعلاقتها ببعضها البعض بعد ذلك بالرؤيا الشعرية .

ان البناء الفني للشعر بمواصفاته النموذجية المعروفة بلا شك هو أساس وعنوان نجاحها ويستفيد بشكل خاص من محور الثنائيات الذي عرفته البنيوية إلا أنه وبالرغم من ذلك فإن هذه الآلية البنيوية ليست« وصفة جاهزة تصلح لاكتشاف الخواص المميزة لكل نص شعري والانتصار على المستوى الثنائي

[1] صلاح فضل ،نظرية البنائية في النقد الأدبي ،دار الأفاق الجديدة بيروت ،ط1،1981ص3

[2]

المباشر مصادره قد تمنع الباحث من الاستجابة الحرة الواعية للنص واكتشاف نظامه الخاص »[1] الذي ينضوي بالضرورة على آفاق بنائية أخرى عديدة تساهم في إقامة صرح البناء الشعري في القصيدة .

من هنا يمكن وصف البناء الفني بأنه مجموع العلاقات المتينة التي تتأسس من خلال التداخل الحاصل بين عناصر التكوين الشعري إذ أن هذه العناصر التي تبدأ بنماذج البناء وتنتهي بالبنية الايقاعية هي التي تقيم بناء القصيدة ولا يمكن لهذه القصيدة أن تتكامل وتعلن عن تماسكها النصي المطلوب دون الحضور القوي لشبكة العناصر وهي تعمل في سياقات مختلفة من أجل إيصال البناء الشعري في القصيدة إلى أفضل صيغة ممكنة

إن مفهوم البناء الفني للقصيدة يأتي من طبيعة وضع نسيج العلاقات بين عناصر التكوين الشعري وكلما كانت العلاقة بين اللغة الشعرية و الصورة الشعرية والايقاع الشعري ونموذج البناء الشعري قوية ونموذجية انعكس هذا ايجابيا على الوضع الشعري العام للقصيدة وتحولت من مجرد شبكة من العلاقات التي تؤلفها العناصر الشعرية الى بناء معماري متناسق على نحو كبير يخضع لهندسة بنائية عالية المستوى يمكن عبرها استيعاب الحركة الداخلية المرتبطة بالتجربة الشعرية عند الشاعر وادراك حساسية التعبير الشعري الذي تتجه القراءة منه الى البناء بوصفه ممثلا « الشعرية المكونة للقصيدة وعلى الرغم من أهمية العناصر المكونة للقصيدة بتوطيد معالم البناء الشعري إلا أنها تخضع في أشغالها الى آلية المشاركة والتفاعل والتضافر فيما بينها العناصر في ذاتها مهمة ولكن الأهم هو التركيب الذي يضيف قيمة مستقلة ».

الأساليب الانشائية :

من هنا يمكن وصف البناء الفني بأنه مجموع العلاقات المتينة التي تتأسس من خلال التداخل الحاصل بين عناصر التكوين الشعري إذ أن هذه العناصر التي تبدأ بنماذج البناء وتنتهي بالبنية الايقاعية هي التي تقيم بناء القصيدة ولا يمكن لهذه القصيدة أن تتكامل وتعلن عن تماسكها النصي المطلوب دون الحضور

[1] محمد الموسري ،عبد العالى الصائغ (تقدم) الشعر العربي عند نهايات القرن العشرين ،دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1990

القوي لشبكة العناصر وهي تعمل في سياقات مختلفة من أجل إيصال البناء الشعري في القصيدة إلى أفضل صيغة ممكنة

من المثل الشعبي " صنعة اليدين خير من مال الجدين "

الموسيقى الداخلية والخارجية

يمتاز الشعر الشعبي بالموسيقى ،والإيقاع ،والرنين ويعبر عما يجيش بصدر الشاعر الذي يتأجج عاطفة ومن هنا فإن الشعر تعبيري عما يعتمل بأعماق الشاعر من الفرح وألم ، ويستطيع بلغته الحية المطواع أن ينقل لنا تجاربه الحيوية،وأفكاره وانفعالاته النفسية،ذلك أنّ الشعر يمثّل في عمومه نسيجا متكاملا يتجلّى بهواه في ذلك التّلاحم الذي تصنعه جزيئات بسيطة وبذلك صحّ القول «أنّ الإيقاع يشمل الموسيقى الدّاخلية المرتبطة بالألفاظ والموسيقى الخارجية المتعلقة بالوزن والقافية»[1]

إذن يميل الشّاعر الشعبي إلى استخدام الموسيقى الدّاخليّة المتولّدة عن الجانب الصّوتي للألفاظ ،حيث يجعل الشّاعر الشّعبي من« الموسيقى الخارجية المتمثّلة في الوزن والقافية ، إطار عاما لا يعتمد عليه كثيرا في إحداث الإيقاع خاصة الشعر الشعبي كان شفاهيّا في عمومه لذلك هو يتخذ من الصيغ الشّفاهيّة وسيلة أنجح للحفظ من خلال تحفيزها على التذكير»[2]

المطلب الثاني: الإيقاع الخارجية :

فعلى ما يبدو أنّ الشعر الشعبي الذي نحن بصدد دراسته بعيد عن البحور الخليليّة التي تقوم على نظام التّفعيلة يقول عبد الله الركيبي:« بأنه من الصعب أن نذكر بحورا محدودة لهذا الشعر بسبب كثرته وتنوع قصائده وانتشاره بين العامية في بيئات متعددة، وبلهجات مختلفة من الصعب حصرها إلا بدراسة مستفيضة منظمة لكل ما يتصل بهذا الشعر من شتى النواحي»[3]لأنه يقوم على المقاطع المغلقة لهذا هو ألصق بالموسيقى والغناء لأنه يعج بالساكنات التي تعطي ملمحا موسيقيا تذوقه الأذن وتطرب لسماعه ، نستشهد ببعض الأبيات من كل قصيدة.

[1] فصل سالم العيسى ،النزعة الإنسانية في شعر الرّابطة القلمية،دط ،دت ،ص206

[2]أحمد زغب، جمالية الشعر الشفاهي (مذكّرة) ص148

[3]د.سرقمةعاشور،الشعر الشعبي الديني في منطقة توات ،م س، ص :77،78

أما الايقاع (الوزن) فهو يختلف من أخرى حسب طول حجم الأبيات والمعاني واللغة مع العلم أن الشعر الشعبي والملحون تتحكم في ايقاعه حركات الكلمات واللغة فأحيانا لا يستقيم الوزن لنأكد الصحة الكلام نستشهد ببعض الأبيات.

قصيدة حكايات بلادي :

أَكْتُبْيَاتَارِيخْ عَن مَاضِي وَأشْهَد وَفَجِّر دِكرِيَاتْ شَعب عَاشْ الحِرمَانْ

0/0//0/0/0/0//0/0/0/0/ 00/0/0/00/0//00//0/0/0//

سُولِف عنَّا حْكَايَاتْ كُل بْلاَد وَسَجِّل رَصِيدْهَا فِي أَهَات النِّسيَا نْ[1]

00/0 0/ 00/0/0 0/0/ //0/ //0/0 0/0// 0/ 0/00// 0/ /0// /00///00/

حر الطير :

أحْكِي يا تَارِيخ فِي بَطنَك الأسْرَارْ حُرْ الطَّيْرْ اللِّي بْقِيت اكتُبْ فِي جَنْحَيهْ

00/0/0/ //0/ 0/ 00/0/0/ 0/0/ 0/0/0//0/00/00/0//00/0/ 00/0/

أكْتُب لِي بِدَم الشُّهَدَاء الأبْرَارْ مَنقُوشْ علَى الصَّم حَاجَة مَا تَمحِيهْ[2]

00/0/0/ /0///00/ 0// 0/ 0/0/ 00/0/0///0/ 0/00/ 0// 00/0/ /0/00/

عروسة الجنوب

بُشرة وفَرحة لينَا فِي ذَا النهَارْ عرُوسَة الجَنُوب مصنْعَة بالثُّوب الزِّينْ

00//0/ 0/ 0/ 0/0/ //0/0 //0/ 00/0/0/ //0// /0//0/ //0// /0/00/

[1] خالد شامخة ،ألوان من الواحات،م.س،ص65

[2] خالد شامخة ،ألوان من الواحات،م.س،ص86

أهلاً وسهلاً بالأحباب والزوَّار نزُلتوا ضَياف عِندنَا رأكُم مَعزُوضِينْ[1]

0/0/ 0//0/ 00// 00/0// 0//0/0/ 00/0/0// /0/0/0/ 0/0// 0/0/

زين القعدات

ولفِي كي نتْفَكَّر زِينْ القَعدَات وَبيِّه يَا سْيَادي نَكتُب وَ نقُولْ

00/0/ //0/ 0/0/00/ 0/0// 00/0/0/ 00/ 0/0/0/ 0/ 0/0/

نَنسَاه وِيجِنِي هو بِالذَّاتْ محلاَه فِي البِنَّةمِيزَانُوا مَعدُوْ ل[2]

00/0/ 00/0/0/ //0/0/0/00/0/ 00/0/0/ // 0/0/0/ 00/0/

ويدخل ضمن تركيب القافية حرف الروي الذي تبنى عليه القصيدة كلها ،ويتكرر في قوافي الأبيات جميعها ،ويكسب الروي قصيدة طابعا خاصا ويزينها بنغمة موسيقية معينة وملائمة لمواضعهم.

القصائد	حرف الروي	صفاته دلالته الأولية ومعانيه
حكايات بلادي	النون	مهموس رخو معناه لغة شفرة ،السيف أو الحوت ،أو الدواة أصلح التعبير عن مشاعر الألم والخشوع .إن معانيه تختلف باختلاف كيفيات النطق به.يدل على الاهتزاز ،والاضطراب ،وتكرار الحركة[3]

[1] خالد شامخة ،ألوان من الواحات،م.س،ص20

[2] خالد شامخة ،ألوان من الواحات،م.س،ص92

[3] حبيب مونسي ،تواترات الإبداع الشعري ،ديوان المطبوعات المركزية بن عكنون ،الجزائر دط، 2009ص 47

حر الطير	الهاء	مهموس رخو إذا لفظ مشبعا مشددا أوحت الاهتزازات المتواترة بالاضطراب والاهتزاز ،والسحق ،والقطع ،والكسر ،والتخريب وإذا لفظ باهتزازات رخوة أوحى بمشاعر إنسانية من حزن ،وأسى ويأس ،وضياع . وإذا لفظ مخففا مرققا مطموس الاهتزازات أوحى بأرق العواطف الإنسانية وأملكها للنفس .وإذل لفظ بطريقة تهكمية مخنخنا كان أوحى بالضطربات النفسية ،وما يضحك من مظاهر الخبل والهتر والتشوهات العقلية والجسدية [1]
عروسة الجنوب	النون	مهموس رخو يوحي هنا بالأناقة ،والرقة ،والاستكانة .وبالانبثاق والخروج من الأشياء[2]
زين القعدات	اللام	مجهور ،متوسط الشدة شكله في السريانية يشبهاللجام ،يوحي بمزيج من الليونة ،والمرونة ،والتماسك ،والاتصاق .وهي خصائص لمسية صرفة .معانيه تتعلق بعمليات الأكل ،التذوق ،وأنواع الأطعمة .[3]

[1] جبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري ،م س ص 48

[2] جبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري ،م س ص 47

[3] جبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري ،م ن ص 41

الإيقاع الداخلي :إذا كان الإيقاع الخارجي هو الإيقاع النابع من الوزن بما يحتويه من بحور وقوافي ؛فإن الإيقاع الداخلي يتمثل في الموسيقى النابعة من تألف الأصوات والكلمات ،والشّاعر الشّعبي يسعى إلى تحقيق هذا النوع من النغم باعتباره –حسب رأيه–الأقدار على إيصال شحناته النفسية للمتلقي، المظاهر الصوتية المنتجة للإيقاع الداخلي، التي نذكر منها:

التكرار: تحتاج إلى براعة من طرف الشاعر؛ إذ يرتقي بها درجة من الأصالة والإبداع ،حيث يتحول إلى منبه صوتي يهز إحساس المتلقي وتساعده على فهم مشاعر المبدع والإبحار في ذاكرته ومايجول في بخاطره.

الصوت: عمد الشاعر إلى تكرير بعض الحروف دون غيرها ،مما يعزز النسيج الصوتي لقصائده ويأسر مشاعر المتلقي ودمجه في التّجربة الشّعريّة التي يريد التعبير عنها ،«فكان العربي بذلك يصور الأحداث والأشياء والحالات بأصوات حروفه»[1].

نذكر على سبيل المثال :

القصائد	الحروف	عدد تكرارها	دلالاتها
حر الطير	الألف اللينة	39	يقتصر معناها على إضفاؤ خاصية الامتداد عليها في الزمان والمكان[2]
	الراء	39	مجهور، متوسط الشدة والرخاوة يدل على التحرك والتكرار والترجيع.وعلى الفزع والخوف .وعلى الثبات ،والاستقرار والربط وضم الأشياء.[3]
	الياء	19	لينة ،جوفية يبدو في أول الكلمة وكأنه يصعد من حفرة بشيء من المشقة والجهد [4].

[1] حبيب مونسي ،تواترات الإبداع الشعري ، دمشق 1998سورية ،منشورات اتحاد الكتاب العرب (دط،دت)،ص17

[2] جبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري ،م نص 43

[3] جبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري ،م س ص 42

[4] جبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري ،م س ص 43

حكايات بلادي	الدال	34	مجهور شديد شكله في السريانية صورة الدلو.صوته أصم أعمى مغلق على نفسه كالهرم ،لا يوحي إلا بالأحاسيس اللمسية ، وبخاصة مايدل على الصلابة ،والقساوة ليس فيها أي إحساس شمي ،أوبصري ،أو شعوري .يعبر عن معاني الشدة والفعالية الماديتين ، والدحرجة والتحرك السريع ،والظلام وألوان السواد [1]
	الكاف	28	مهموس شديد يحاكي صوت احتكاك الخشب بالخشب .في هذه الحال يوحي بشيءمنالخشونة،الحرارة ،القوة والفعالية ،وإذا لفظ بصوت عالي النبرة وبشيء من التفخيم والتجويف أوحى بالضخامة ،والامتلاء ، والتجميع [2].
زين القعدات	التاء	19	مهموس إنفجاري شديد صوته يوحي بلمس بين الطروة والليونة .يدل على الرقة والضعف .كما يوحي بالشدة ،والغلظة ،والقساوة ،والقوة .وعلى الامتلاء والارتفاع . [3]
عروسة الجنوب	الراء	39	مجهور، متوسط الشدة والرخاوة يدل على التحرك والتكرار والترجيع.والرقة ،والنضارة .وعلى الثبات والاستقرار[4]

[1] جبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري ،م س ص 40

[2] جبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري ،م ن، ص41

[3] حبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري، م س،ص39

[4] حبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري ،م س ص42

	السين	26	مهموس رخو. له في السريانية صورة السن ،يحوي باحساس لمسي بين النعومة والملابسة ،وبأحساس بصري من الإنزلاق والإمتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب إلى الصفير يوحي بتحرك ،والسير،وعلى الخفاء والإستقرار، وعلى الامتداد إلى الأعلى ،وعلى اللين ،والرقة والضعف . وعند إستقراء تواثره اولا وأخيرا:كان في بداية المصادر أوحى ما يكون بالتحرك والمسير، وإطا كان في نهايتها فهو أوحى مايكون على الخفاء والإستقرار[1]

ولا يتوقف التكرار عند الشاعر عن تكرار الحروف فقط لي صنع نغما موسيقي بل يتعداها أحيانا ليشمل الكلمة وأحيانا العبارة ،فعلى سبيل المثال في قصيدة "**زين القعدات**"

ولْفِـي كِـي نْتفَكَّـر زِيـنْ القَعـدَات ... وبيـه يـا سـيادي نكتـب ونقـول
نَسَـاه وِ يجِيـنِي هُـو بِالـذَّاتْ ... محـلاه في البنـة ميزانـوا معـدول
اسْمِـه بِالتَّـاء يَبـدَأ يَـا سَـادَاتْ ... واليـاء بعـد الألـف تجـبر العقـول
الأتَـايْ فِي السْـهَارِي عِنـدُو نَفَحَـاتْ ... الأتـاي في الجمـايع اسمـوا مقبـول
وَرقَـة مْخَيْـرَة وَاحِـد وَسَـبْعِين بِالـذَّاتْ ... صـندوكها نـاطق بالقـانون المعمـول
سُـكَّرْ فِي الحْـلاوَة عْسَـل الشَّـهدَاتْ ... بـالعز طـال عـني داك المرسـول
نِعْنَـاعْ فِي الفَـدَّانْ رْوَايِـح نَسـمَاتْ ... محلافوحتـو نـاقي مقسـول
الأتَـايْ فِي طيَّابُواعَنـدُوحِكمَاتْ ... يـرحم مـن طيبـوا في الميـز المكمـول
الأوَّل مِنـوَا يَاسْـيَادِي فَخـرْ الشَّـيعَاتْ ... وبيـه تتسـامى أهـل القبـول
وَالسَّـر فِي الثَّـانِي نَعْنَـاعْ بِفَوحَـاتْ ... كيسـان يـا الخـاوة يـدهب الخمـول
وَمِـن الثَّالِـث سُـكَّر حْلاَوتُـوا بْنَـاتْ ... في شـربتوا نصـحا للطـولْ

[1] حبيب مونسي، تواترات الإبداع الشعري ،م س ص42

الأتَـايْ فِي السْـهَارِي عِنـدُوا نَفْحَـاتْ الأتـاي في الجمـايع اسمـو مقبـولْ
سْـنِيوةمتحوفة كيسـان وحطـات برايـد مزوقـة والخـير سـيولْ
كاوكـاو محـلاه مليـان الحبـات سبسـب والجديـد بـرو معقـولْ
لأتـاي بيـه النـاس باعـت وشـرات وبيـه فكيـت بـالي لي مشـغولْ
النـوم راح عـني قـيس الرقـدات ودعـت وسـايدوا والليـل يطـولْ
القـول جـايبو عنـك في ذَا الكلمـات ومعـاني ليـك في السـر المهمـولْ

"نجد"**الأتاي**" تكرّر ستَّة مرات عبارة "**بالذّات**"مرتين "**ياسادات**".

أما تكرار في قصيدة "**عروسة الجنوب**"

غـرَدَايـة وَردة مـفتحـة مـن بَيـن النـوَّار الزربيـة صـنعتها خـير مـن مـال الجـدين
عِـيدهـا كـُل عـام يـجينَـا بتحـفَة وتـصوَار أشـكال وألـوان باهيـة تغـري النـاظرين
الزَّربِيَـة والبَرنُـوس مَصـنُوع مـن الأوبَـار حنابـل ووسـايد بالمـارة مـرقمين
خِدمَـة امتنَةمَالِيهاحْـدَاق وشْـطَار والرقمـة فيهـا محطوطـة صـواب العـين
الحنبَـل والزَربيَـة راهُـم فِي حِـوَار والبرنـوس مـن الغيرقـال أنـا حقـي وين
تكلْمَـت الزَّربِيـة قَالـت أنَـا مُـولاة إشـهَار رقمـاتي وألـواني راهـم بـاينين
جَـاء الحَنبَـل وقَـال أنَـا هـو الإزدهَـار خطـوطي مسـقمة بحواشـي مزخـرفين
البَرنُـوس احشَـم وجـهُ احْمَـار ودخـل المنسـج بركـايزو في الحـين
قَـال أنَـا هُـو العَـدل صَـاحب القَـرار قاطعته النيرة يا قليل الأصل روحك وين
لحقـت الخلالـة قالـت سـويت التعجـار أنـا كـل شـئ يحكمـوا فيـا دوك اليـدين
الخَشْـبَات دَارُوا حضَـر وزَادُو حِصَـار علـى مـولاةالبهى والملـك والـزين
القِيـام تكلَّـم بخيُوطُـو كالأوتَـارْ والطعمـة تسـحات منـوا وقالتلويـامرحبتين
ألحقهُـم الـزَّرَاز وقـالْ وَاش اللِّـي صـارْ الثقـل فـوق راسـي والتعـب مـن جهتـين

تكَّلـــــم الجَبَّادومعَاهـــــذَاك المِســـــمَار قـالهم نسيتوا عشرة وخدمتي طول سنين
تكلْمَـــت القَشَّـــابِية وقَالـــت يَاســـتَّار ومـــن دا المنســـج رانـــا محقـــورين
قَالـــت لُـو يـــا وَاحـــد أنَـاِني يَـا حقَّـــار وكلـــت أمـــري لله رب العـــالمين
البَرنُـــوس قَالْهَـــا مَاتخَـــافِيشْ نَأخُـــذْبالثَّار نجيبـوا حقنـا بيـدينا ورؤسـنا مرفـوعين
لخُلاَّلـــة تكلْمَـــت وقَالـــت ذاَ عِيـــبْ وعَـــار هـــذا الشـــئ مـــاهو ملـــيح ياحاضـــرين
نَجمعُـــو شَمْلنـــا ونتَّحـــدُوا ضِـــدَّ الغَـــرَار وكلمتنـا تكـون واحـدة مـاهيش اثنـين
جَـــاهم البَرنُـــوس وقَـــال أنَـــا ليَّـــا الإختيَـــار نشـاركم بشـرط تكونـوا معايـا متحـدين
المِنسَـــج قَـــالهُم أنَـــا يَـــا خَـــاوِتي لِـــيكُم صـــبَّار اعملوا فيا واش تبغوا أنا أنا خدام أمين
الزَّربِيَـــة قَالـــتْ لهُـــم أنَـــا كَنـــز وآثَـــار وتقاليـــد بـــلاد بيـــاراهم مشـــهورين
القَشَّـــابيَّة قَالـــت يَلْبسُـــوني كبَـــار وصـــغَار ويعرفـــوني أصـــحاب الصـــحراء والتليـــين
البَرنُـــوس قَـــال أنَـــا كَاســـبني فَـــارس مِغـــوَار ولا أصـــحاب الهمَّـــة والعلـــم والـــدِّين

نجد الشاعر كرّر كلمة "**الزَّربية** " خمسة مرات ،"**البَرنُوسْ**"ستّة مرات ،وبهذا يحدث التكرار جرس موسيقي يسهم في إضفاء بعض المعاني التي تختزنها نفس الشاعر ،وكذلك يشعر المتلقّي نوع من المتعة وعدم الملل ،وإعتزاز الشاعر بعاداته وتقاليده

وأهمّ شيء ينبغي الإشارة إليه في القصيدة الشعبية ،أنّ الشاعر يستخدم التكرّار على مستوى القوافي الدّاخلية مرة بتكرار الصوت الروي وأخرى بتكرار القافية كاملة ،فعلى سبيل المثال

أحْكِي يَا تَارِيخ فِي بَطنَك الأسْرَارْ حُرْ الطَّيْرْ اللِّي بْقِيتْ اكتُبْ فِي جَنْحِيهْ
اكْتُب لِي بِدَم الشُّهدَاء الأبْرَارْ مَنقُوشْ علَى الصَّم حَاجَة مَاتَمْحِيهْ
حَاجَة مَاتْنَسِيك يَاوطَن الثُّوَّارْ هَذَا بْلاَدْنَا فِي كْلاَمِي نَرثِيهْ[1]

[1]خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص 86

كما نلاحظ تكرّار صوت "الراء" المسبوق بصوت المد طويل مفتوح في نهاية القافية الدّاخلية ،وعلى هذه الوتيرة سارت القصيدة كاملة لتخلق جوّا موسيقيا قائما على إيقاعات تصنعها حروف القوافي التي تتكرر في صورة منسجمة .

ولا يقتصر الإيقاع الدّاخلي عادة في القصيدة على التّكرار بل يشمل أيضا الصور البيانية والبديعية والأساليب.

الأساليب الانشائية :

يجمع الشاعر بين الاسلوب الخبري والانشائي ليجعل القارئ يشاركه أفكاره ومشاعره وليس ذهنه وانتباهه ، ويضفي لشعر بعدا جماليا ، ومن أثر الأسلوب الخبري في الأبيات يفيد التقرير والتوضيح لأن الشاعر يتحدث عن حقائق واقعية لا مجال للشك فيها يفيد معها استخدام الأسلوب الإنشائي لجذب انتباه السامع وتشويقه ، ونجد أن الأسلوب الإنشائي ينقسم الى قسمين : طلبي وغير طلبي .

فإنشاء الطلبي يكون فيها الانتظار لحصول شيء من المخاطب وهي الأمر و النهي والاستفهام والتمني والنداء .

وغير طلبي: هي التي لا ينتظر من المخاطبين وهي التعجب والمدح والندم والقسم و أفعال الرجاء وكذلك صيغ العقود.

فوجدنا الأساليب متعددة في القصائد التي درسناها.

قصيدة حر الطير:

أولا: الأساليب الانشائية :

احكي يا تاريخ : الأمر في كلمة" احكي" والنداء في " يا تاريخ"

اكتب لي بدم الشهداء : الأمر بتوثيق الأحداث والبطولات

يا سليمان اليوم نذكرك : النداء وذلك بتمجيد البطل

يافحل الصحراء : النداء بما لقب به البطل

بطل الشعنب يا سيادي بلمختار : النداء بأن البطل هو بلمختار

ثانيا : الأساليب الخبرية :

هذا رمز بلادنا في كلامي نرثيه : غرضه الفخر بما قدمه بلمختار إلى وطنه

كان من الشجعان حاجة ما تغريه : غرضه المدح الشاعر هنا يمدح بلمختار أنه ليس من خونة الوطن

ضِيقْ عْشِية وْكِي وَ صْلتْ لخْبَارْ نَعتْ البَرقْ نبكِي أناوَنْحييْ ه[1]

نجد في الشطر الأول غرضه التحسر تحسر الشاعر عن تلقيه خبر إعدام بلمختار

مُلتَزم فِي خِدْمتِهْ كَان مِنْ الشُطَّارْ متْورَّع بالدِّينْ مَرضُّي والديْ ه[2]

أما هنا يوظف غرض المدح يمدح الشاعر بلمختار بحبه لعمله

جيتْ اليُومْ نْخَاطبَك بكْلاَمِي وأشْعارْ وَنْتحَدث لجَيَال كُلْ شِيء بمعَانِيه

هنا نجد غرض الفخر الشاعر فخور بما قام به بلمختار فهو يرثيه في أشعاره للأجيال لأخذ العبرة منه

مَهْمَا قَلِتْ عْلِيكْ مَانُوفِي تقْصَارْ وَنمَجَدْ ذِكْرَاكْ فِي كُلاَمِي نرْثِيْ ه[3]

غرضه المدح و يقصد الشاعر أنه مهما قال ومهما كتب فهو مقصر في حقه .

الصورالبيانية :

بلاغة الإستعارة : قال فيها "الجرجاني «فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحا والأجسام الخرس مبنية والمعاني الخفية بادية جلية وتجد التشبيهات على الجملة غير معجة ما لم تكتبها إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خفايا العقل كأنها قد جُسمت ورأتها العيون ،وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون وهذه إشارات وتلميحات في بدائعها»[4].

احكي يا تاريخ : استعارة مكنية جعل الشاعر هنا التاريخ كالإنسان يحكي ويروي الأحداث والوقائع

في بطنك الأسرار : استعارة مكنية شبه البطن بالصندوق و الأسرار بالأشياء المادية التي تخبأ في الصندوق فهو جمع بين استعارتين في عبارة واحدة

فحل الصحراء : استعارة تصريحية شبه البطل سليمان بلمختار بالفحل دلالة على قوته وشجاعته

[1] خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص86

[2] خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص 86

[3] خالد الشامخة ،ألوان من الواحات ،م .س ، ص 86

[4] أحمد الهاشمي ،جواهر البلاغة ،تح :محمد التونجي ، مؤسسة التعارف وبيروت ،ط2،دت ،ص33

الشاعر في القصيدة جعل التاريخ هو الإنسان الذي يشهد وينطق

الصورة الكناية :واد من أودية البلاغة وركن من أركان الفصاحة ،شأنها شأن الاستعارة ،ولا تقل أهمية عنها،إلا أنها تفتقر إلى نوع من الدقة والتفصيل فهي تحمل شيئا من غموض يناء ،"لايعدُّ البلاغيون كناية مجازا ،ذلك أنّ الكناية يجوز فيها إرادة المعنى الحقيقي اما المجاز فلا يجوز فيه ذلك"[1]

حاجة ما تنسيك ياوطن الثوار : كناية الجزائر أي كناية عن موصوف

منقوش على الصم حاجة ما تمحيه : كناية عن بقائه وخلوده فهو لا يمحى

بطل الصحراء : كناية عن الشهيد بلمختار سليمان كناية عن موصوف

-**التشبيهات** :

الجزائر الغالية يا ميمة لحرار : تشبيه بليغ

نعت البرق : تشبيه بليغ

والقول لي جبت في قلبي معيار : تشبيه بليغ

بطل الصحراء قاسي كالصم : تشبيه مرسل مجمل.

-**المجازات** :

ونحدت لجيال كل شيء بمعانيه : مجاز مرسل بعلاقة الكلية

وطن الحب عزيز من قلبي نشتيه : مجاز عقلي بعلاقة الحالية

-**قصيدة حكايات بلادي** :

أولا : الأساليب الانشائية :

أكتب يا تاريخ : النداء و الأمر

أشهد وفجر وسولف وسجل : الأمر

أطلبتك ياربي : التمني

نوفمبر يارمز العزة والمجد : النداء

-**ثانيا : الأساليب الخبرية** :

فجر ذكريات شعب عاش الحرمان : التحسر

[1] الخطيب القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة ،ص301

بطولات حققناها في كل مكان : الفخر

شعب الجزائري عاش في نكد : التحسر

كل واحد منا واقف متحدي صامد : المدح

شعبنا كان ليه متجند بقوة صغيرة كبرها الإيمان : الفخر و الاعتزاز بالايمان

بالرغم من هذا الشيء والقلب مصيهد : الاسترحام

-الصور البيانية :

اكتب يا تاريخ عن ماضي واشهد : استعارة مكنية شبه الشاعر التاريخ بالانسان حذف المشبه به وترك ما يدل عليه وهو النداء وفعل الأمر " اشهد" الشاعر هنا يخص التاريخ " الزمن" ويجعل منه انسانا يسمع ويعقل ويعي ويشهد دلالتها الفنية التشخيص المعنوي وتقريبه الى ذهن السامع

فجر ذكريات شعب : استعارة مكنية شبه الذكريات بالشيء المادي الذي يفجر كالقنبلة مثلا حذف المشبه به وترك مايدل عليه " فجر" .

أحداث كثيرة عن الوطن تشهد : استعارة مكنية جعل الأحداث كالانسان تعترف وتشهد ببطولات الشعب الجزائري.

نفوسنا تغلي : استعارة مكنية شبه النفوس وهي غير ملموس بالماء وهو الشيء الملموس تغلي مثله

كرامتنا غالية من الماس والزبرجد واثقل من الرصاص في ككفات الميزان : استعارة مكنية شبه الكرامة بالشيء المادي الغالي الثمن والثقيل وزنا

في حضنها تربى داك الأسد : استعارة تصريحية حيث شبه البطل بلخضر قدور بالأسد لشجاعته إقدامه ونضجه.

هذه صفحة طوينها مع النسيان : استعارة مكنية ويقصد فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الجزائر له ومحاربتهم له بحيث شبه الأحداث التي مرت بها الجزائر عبر التاريخ بالكتاب وحذف المشبه به وترك مايشير إليه.

أعطى للعدو درس بلا عنوان : كناية عن شدة ومقاومة البطل ناصر بن شهرة على العدو الفرنسي

خمسة جويلية عصافير تغرد : يقصد الشعب يردد الأناشيد و الأغاني الوطنية دلالة على الفرح بالاستقلال.

حمامة بيضاء : كناية عن رمز السلم و الأمان.

نديرو اليد في اليد : كناية عن صفة وهي الاتحاد والتعاون من أجل بناء الجزائر والتصدي لأي خطر أجنبي.

برغم من هذا الشيء والقلب مصيهد نفوسنا تغلي : كناية عن فوران النفس.

قوة صغيرة كبرها الايمان : كالانسان يتحرك ويكبر ويصغر وهو بذلك يبين أثر الايمان في الجزائريين في ثورتهم.

-التشبيهات :

ثايرة كالبركان : تشبيه مرسل مفصل (تام) بحيث شبه النفوس بالبركان ويقصد ثورة الشعب الجزائري كانت عظيمة كالبركان.

كرامتنا كانت راس مالنا والشان : تشبيه بليغ بحيث شبه الكرامة برأس المال

كرامتنا غالية من الماس والزبرجد : تشبيهات مؤكدة وهو تشبيه الكرامة بشيء مادي وغالي

كانت عقولنا تتفجر رعد وقلوبنا نار لهيبها دخان : تشبيه بليغ بتشبيه القلوب والعقول بالنار والبركان

حبي ليك يابلادي على القلب وقد ما كانت النجوم على لعيان : تشبيه بحيث شبه الشاعر حجم حبه للجزائر بعدد النجوم دلالة على وفاءه وحبه الكبير لبلده.

-المجازات :

نبداها من عهد الباي أحمد ومنشة دارت الحرب بين البلدان : مجاز عقلي بعلاقة الفاعلية

بعدها نار الغيرة وعين ماترقد : مجاز عقلي بعلاقة جزئية

-قصيدة زين القعدة :

-أولا : الاساليب الانشائية :

يا سادات = النداء

ياسيادي نكتب ونقول و يا سيادي فخر الشيعات = النداء

يا الخاوة يذهب الخمول = النداء

-ثانيا-الأساليب الخبرية :

محلاه في البنةميزانو معدول = المدح

الأتاي في السهاريعندو نفحات= المدح

ورقة مخيرة واحدة و سبعين بالدات=المدح

الاتاي في طيابو عندوحكمات= المدح

الأول منو فخر الشيعات وبيه تتسامى أهل القبول = الفخر

-الصور البيانية :

ننساه ويجيني هو بالذات = استعارة مكنية شبه الشاي بالكائن الحي العاقل الذي يأتي ويذهب بحيث حذف المشبه به وترك مايدل عليه وهو الفعل " يجيني"

محلاه فالبنة ميزانو معدول = استعارة مكنية

والياء بعد الألف تجبر العقول = استعارة مزدوجة اذ شبه الشاي بالطبيب الذي يجبر المكسور وبه العقول وهي أمر معنوي بالشيء المادي الذي يكسر ويجبر وهما استعارتان مكنيتان

صندوقها ناطق بالقانون المعمول : استعارة مكنية

ورقة مخيرة : كناية عن الشاي لأن أصل الشاي هو الأوراق لنبات يغلي ويشرب

ودعت وسايدو : كناية عن عدم النوم فقد ودع الوسائد

الليل يطول : كناية عن السهر وعدم النوم مما يجعله يشعر بطوال الليل

زين القعدة : كناية عن موصوف وهو الشاي

-التشبيهات :

سكر في الحلاوة عسل الشهدات : تشبيه السكر بالعسل في الحلاوة

-المجازات :

وبيه يا سيادي نكتب ونقول : مجاز مرسل بعلاقة المحاورة

القول جايبو عنك في ذا الكلمات : مجاز مرسل علاقته جزئية ويقصد به الشعر والقصيدة وهي الكل والقول والكلمة هي الجزء

-وظيفة التكرار في هذا البيت :

الأَتَايْ فِي السْهارِي عِندُو نَفْحَاتْ الأَتَاي فِي الجْمَايعْ إِسْمُو مقبُول

وظيفة هذا التكرار يبرز أن هذا البيت هو الذي تدور عليه معاني القصيدة بأكملها

-قصيدة عروس الجنوب :

-أولا : الأساليب الإنشائية :

البرنوس من الغيرة قال أنا حقي وين = الاستفهام

يا قليل الأصل = النداء

روحك وين = الاستفهام

يا مرحبتين = النداء

قال واش اللي صار = التعجب

يا ستار= النداء

-ثانيا: الأساليب الخبرية :

عروسة الجنوب مصنعة بالثوب الزين = المدح

جوهرة الواحات حضنكم في ذا الديار = المدح

الكرم والجود به رانا معروفين = الفخر

أشكال و ألوان باهية تغري الناظرين = المدح

رقماتي و ألواني راه مباينين = المدح

خطوطي مسقمة بحواشي مزخرفين = المدح

الصور البيانية :

جوهرة الواحات : استعارة تصريحية شبه مدينة غارداية بالجوهرة

الحنبل والزربية راهم في حوار : استعارة مكنية وذلك بإعتبار الحنبل والزربية كالإنسان يتحدث

عروسة الجنوب : كناية عن غارداية

البرنوس من الغيرة قال أنا حقي وين : استعارة مكنية

تكلمت الزربية قالت أنا مولاة الإشهار : استعارة مكنية

البرنوس احشم وجه احمار : استعارة مكنية من المثل الشعبي " صنعة اليدين خير من مال الجدين "

قام الشاعر في القصيدة بتشخيص كل من "الحنبل والزربية والبرنوس و القشبية والنيرة.."، أدار بهم حوار جعلهم يتكلمون كالبشر في صور بيانية لإعطاء المتعة في القصيدة

-التشبيهات:

غارداية وردة متفتحة من بين النوار = تشبيه بليغ شبه غرداية بالوردة

الزربية أنا كنز = تشبيه بليغ

القيام اتكلم بخيوطوك الأوتار : تشبيه مرسل مجمل

حاولت من خلال هذه الدراسة والبحث الإحاطة بشخصية لشاعر الشعرية سيرةً وانتماءً من خلال ديوانه " ألوان من الواحات" للشاعر خالد شامخة، وقد أوصلنا هذا البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها كالأتي :

ـ إنّ هذه المرحلة تميّزت بتغيرات اجتماعية وسياسية كبيرة في الجزائر ،ساعدت الشاعر على صقل قريحته الشعرية بما يتوافق مع انتمائه لوطنه وتعلقه ببيئته الاجتماعية،يستمد الشاعر أصالة كلماته من فحول شعراء منطقة متليلي خصوصاً كقدور بن لخضر، وابن الشرع، ومصطفى العربي ، وبن حمودة وغيرهم .

ـ تجلّي شخصية الشاعر خالد شامخة في شعره، ولا أدل على ذلك من إشارته في قصيدتيه إلى مكوناته ومعارفه الفنيّة والسوسيولوجية والنفسية بين أسطر أبياته .

ـ يعتمد الشّاعر خالد الشّامخة على أصالته كمصدر لقوة شعره بطاقة إبداعية تسيِّر حياته، فكان ما كتبه وما قمنا بدراسته صورة صادقة للملامح التي تطبع منطقة الجنوب ونضاله وتمسكه ببيئته على الرغم من قسوتها في بعض الأحيان .

ـ تميز شعره بالوطنّية الثائرة المتدفقة ملتزما بقضايا أمته متغنياً بأفراحها، حزيناً لأحزانها لأنّه يستمد كتابته وإبداعاته من بيئته التي عُرف عنها رفض الاستعمار والتعلق بالوطن الموحد .

انّ الشعر الشعبي مرتبط أساساً بسيرة من كتبه وبتاريخ الجزائر لذا تجد في قصيدة خالد الشامخة هذه الأبعاد متجسدة في كل أبياتها .

إن قصيدة حكايات بلادي وحر الطير تعد حافلة بالبطولة والتضحيات والانتماء للجزائر ملخصة مراحل التحرير والبناء .

وإن قصيدة عروسة الجنوب وزين القعدات تجمعان الحقيقة بالخيال وترصدان الواقع الجميل الذي يميز عادات وتقاليد المجتمع المحلي .

إن شعر خالد الشامخة يتميز خاصة بالقصائد المختارة للبحث والدراسة بلمحات دينية وإطلالات ثورية مع حدة العاطفة وقوة الانتماء والشعور بالوطن والأرض .

وبعد هذه الجولة الخاطفة في صفحة من صفحات موروثان الشعبي الجزائري عموما، ومنطقته خصوصاً كانت رغبتنا كطالبتين باحثتين الاعتزاز والافتخار بمورثنا ووطنيتنا ككل فرد غيور على وطنه وأراد الحفاظ عليه فحولنا أن نرسخ بعض المعالم ترثنا الأدبي الشعبي، وكان هذا من خلال كشف الستار عن صفحة من صفحات ديوان ألوان من الواحات

لأن هذا الأدب هو الذي دفعنا تعبير عن رغبتنا بطريقة سهلة وبسيطة وممتعة،لأن الشعر الشعبي يثمن خزانة الأدب الشعبي ،لا نستطيع الاستغناء عنه لأنه يعيش فينا ،كما لا يمكنه الاستغناء عنا لأنه يعيش بناء.

هكذا نقول إن الأدب الشعبي بشتى أشكاله وألوانه أداة خفية وصورة فنية لتفاعل التيارات الحضارية القديمة والحديثة

توصلنا إلى أن الشاعر خالد شامخة ،قد نجح في توظيف هذا الموروث، وزرع الروح الوطنية لدى القارئ وذلك من خلال القرائ إلى قصائده فمن خلالها نرى أنه وظفها توظيفا جماليا مشوقاً وممتعاً،بحيث نجده قد أكثر من الصور البيانية والبديعية وكان هذا ليس وليد الصدفة وإنما بدافعه الذاتي لكي يقرب هذه الأحداث بصورة واقعية تعبيرية للتوضيح .

فنجد أن شعره يمتاز بالبساطة، فقد نجح بتقديمه بأبهى حلة وذلك من خلال الألفاظ السلسة، بحيث يترك المتلقي أن يعيش معه تلك اللحظة في بيئته ويستطعم معه تلك اللحظات ،فكان الشاعر ملتزم بقضايا أمته متغنياً بأفراحها وحزين لأحزانها اذ بكون الشاعر لسان قبيلته فإنه يكتب من الذاكرة الشعبية فيغتني منها بلغته وإحساسه وتفاعله إذ نجد من شاعرنا نوع من المصداقية فالشاعر في ديوانه يجمع الحقيقة بلخيال ويرصدها عبر الواقع

إن شعر خالد الشامخة يتميز خاصة بالقصائد المختارة للبحث والدراسة بلمحات دينية وإطلالات ثورية مع حدة العاطفة وقوة الانتماء والشعور بالوطن والأرض

كما وتعد تجربة الشاعر على رغم من قصرها في الزمن إلى أنها تعبر بصدق عن سجل للمواقف الوطنية وصورة تعكس حياة المجتمع في البدو والحاضرة.

قائمة المراجع

– المراجع بالغة العربية:

أولاً – الكتب :

1– الباحث مختار شنينة ،**زربية الشعانبية بين وسم الجمل وجز الصوف**

2–ابن منظور ،**لسان العرب**

3–العربي دحو ،**الشعر الشعبي والثورة التحريرية**

4– القاضي الجرجاني ،**الوساطة بين المتنبي وخصومه**

5–التلي بن الشيخ ،**دور الشعر الشعبي** ،الجزائري في الثورة1830–1945

بولرباح عثماني،دراسات نقدية في الأدب الشعبي

6–جويدة حماش,**بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماحم والجبل لمصطفى فاسي** – مقاربة في السرديات –

7–حبيب مونسي ،**تواترات الإبداع الشعري**

8–خالد شامخة ،**ألوان من الواحات**

9–دراجي أسليم ،**في إنتظارإشارة الإبحار** ،سلسلة الإبداع المعاصر

10– رولان بارت ،**درسالسيميولوجيا**

11– سليمان قريري،**القوى الوطنية في الجزائر ومقدمات الثورة التحريرية 1945–1954**

12– سيدي لويس ،**الصورة الشعرية** ،ترجمة أحمد نصيف الجنابي وآخرون

13- صلاح فضل ،**نظرية البنائية في النقد الأدب**

14- عبد الحميد محمد ،**روح الأدب**

15- عبد الله ركيبي ،**الشعر الديني الجزائري الحديث**

16- عبد الله كوش، لغة الملحون،**شعر الملحون بين ثقافتين العالمية والشعبية**

17- عبد المالك مرتاض،**في الأمثال الزراعية دراسة تشريحية لسبعة وعشرين مثلا شعبيا جزائريا**

18- عبد المنعم أسماعيل ،**نظرية الأدب ومناهج الدرسات الأدبية**

19- عبد الرحمان محمد الجيلالي،**تاريخ الجزائر العام**

20- عبد القادر النايلي،**المقاومة والانتفاضات الشعبية**

21- محمد دبوز ، **تاريخ الأدب الكبير**

22- محمد مرزوقي ،**الشعر الشعبي**

23- محمد الميلي ، **ابن باديس وعروبة الجزائر**

24- محمد الصادق عفيفي ،**الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث**

25- مصطفي صادق الرافعي ،**تاريخ أدب العربي**

26- محمد عبد الحليم ،خوبال، **الملحون بين الماضي والحاضر**

27- محمد مونسي، **مدخل إلى الشعر الديني الجزائري الحديث**

ثانياً – البحوث العلمية :

28– أحمد زغب ، **جمالية الشعر الشفاهي**

29– قويدر أولاد مسعود قومار ،**شهداء شعاب الشبكة**

30- نواصر نصيرة ، **مذكرة الامكانيات السياحية بالصحراءالجزائرية**

ثالثاً– المجلات علمية:

31– على عباس علوان ،**تطور الشعر العربي الحديث في العراق** ،اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج

رابعاً – الملتقيات :

32- لقاء مع الشاعر، خالد شامخة،2018/02/07،